

# صحيفة المدينة المنورة باعتبارها أساساً لنظرية العقد الاجتماعي والدولة المدنية في الإسلام

د. محمود الشويات

أستاذ الفقه المقارن والدراسات الإسلامية المشارك

كلية القانون الكويتية العالمية

## الملخص:

بالرغم من كل ما حققته البشرية من تطوّر وتقدّم في كافة مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والتكنولوجية، وفي جميع الحقول والمجالات العلمية، بحيث أصبح العالم أجمع وكأنّه قرية صغيرة؛ يسهل على كل مُريد من شعوبها أن يتعرّف على غيره ويتواصل معه بأبسط الطرق وأسهلها وأسرعها، وأقلّها تكلفة في الوقت والجهد من غير تحمّله سوى النزر اليسير من التكلفة المادية، وفي الحقيقة إنّ هذا الوصف ليس من ضرب الخيال وإنّما هو واقع معاش على مستوى الأفراد والشعوب في عالمنا المعاصر، إلا أنّ الأمر يختلف تماماً على المستوى الدولي، كأنظمة سياسية أو تكتلات أيديولوجية أو دينية أو اقتصادية، وكأنّ المجتمع الدولي تحوّل إلى غابة تسودها الفوضى، والبقاء فيها للأقوى؛ لا مبادئ تحكم ولا موثيق تُصان ولا عهود تُحترم، والمؤسف جداً أن يتم توظيف كل هذا التقدم من قبل بعض الأنظمة السياسية والتيارات الأيديولوجية لخدمة أهداف عنصرية انتهازية استبدادية؛ تكيل بمعايير مزدوجة تتنافى مع أبسط قواعد العدالة والمساواة والتسامح فيما بين بني البشر.

وتأسيساً على ما تقدّم تبرز حاجة المجتمع البشري ككل إلى تبني ميثاق عالمي يدعو إلى إرساء أواصر المحبة والتسامح وقبول الآخر؛ ويتخذ من صحيفة المدينة المنورة نموذجاً له؛ كجذر تاريخي يُؤسّس لنظرية مُثلى في العقد الاجتماعي، نظراً لما تتضمّنه هذه الصحيفة من إرساء لقيم المحبة والتسامح والعدالة الاجتماعية، وتقبُّل الآخر على اختلاف معتقده الديني أو توجهه السياسي، وتحفظ لجميع الأطياف حقوقهم المدنية ومعتقداتهم الدينية وكرامتهم الإنسانية في عيش مشترك؛ يقوم على أساس التكافؤ في ممارسة الحقوق والالتزام بالواجبات؛ ولتحقيق هذه الغاية اشتملت هذه الدراسة على ثلاثة مباحث وخاتمة؛ في المبحث الأول سيتمّ التعرّض لمفهوم نظرية العقد الاجتماعي وبعدها التاريخي، وفي المبحث الثاني سيتمّ دراسة صحيفة المدينة المنورة لبيان مدى توافقها

مع نظرية العقد الاجتماعي، ويأتي المبحث الثالث لبيان دور الصحيفة في إرساء أسس وقواعد الدولة المدنية في الإسلام كنموذج يمكن تعميمه على مستوى المجتمع الدولي ككل من أجل الوصول إلى عيش مشترك يحقق مبدأ العدالة والتكافؤ في التعامل مع الغير. ثم نختم في هذه الدراسة بحزمة من النتائج والتوصيات التي ستشكل أرضية خصبة لدراسات لاحقة قد ترتقي لمستوى رسائل وأطروحات يتم تبنيها من قبل طلبة الدراسات العليا، وكان من أهم هذه النتائج اعتبار البيعة كهيئة تأسيسية مهّدت لإصدار صحيفة المدينة المنورة مع ضرورة التفرقة بينهما، فالبيعة عقد سياسي ديني يُفضي إلى اختيار الحاكم، والصحيفة عقد اجتماعي مدني بامتياز يُحدّد العلاقة بين الحاكم والرعية، وإنّ الحضارة الإسلامية حضارة متجدّرة متأصلة في تطبيق نظرية العقد الاجتماعي وليست دخيلة عليها، وإنّ الإسلام أول من طبّق مبدأ الفصل بين السلطات ودعا إليه. وهذا ما تضمنته الصحيفة كأول دستور مدني مكتوب يشتمل على إعلان لحقوق الإنسان، كما أنّ الصحيفة لم تتنكر لهذا الاختلاف بين بني البشر وهذا التعدد بمختلف صورته، لا بل استثمرته واستفادت منه، فنقلت البشرية من مفهوم الدولة السياسي الضيق إلى مفهوم الدولة العالمية الإنسانية، وأعطت حق المواطنة (الجنسية) للجميع وسمتهم (أمة واحدة) رغم كل هذا التعدد والاختلاف.

**كلمات دالة:** البيعة، الفصل بين السلطات، الحضارة الإسلامية، حق المواطنة، قبول الآخر، السياسة الشرعية في الإسلام.

## المقدمة :

### أولاً: موضوع الدراسة

بدأت الحركة التنظيرية الحقيقية لنظرية العقد الاجتماعي عندما تصدّى لها أصحاب هذه المدرسة بشكل فعلي، وكان من أهم الفلاسفة الذين بحثوا في هذه النظرية كل من (توماس هوبز) و(جان لوك) و(جان جاك روسو)، وذلك مع بدايات القرن السادس عشر الميلادي، وأنّ جُل ما كتب في هذه النظرية قبل ذلك كان متواضعاً ولا يرقى إلى تسميته بحركة تنظيرية. ومن المؤسف جداً أنّ فلاسفة ومنظري العقد الاجتماعي، قد تحيَّزوا وجانبوا الموضوعية في طروحاتهم عندما أشاروا إلى الجذور التاريخية لهذه النظرية وفي جميع الحضارات والثقافات والفلسفات والديانات، وأغفلوا وتجاهلوا أهم هذه الجذور وهو الجذر الذي جاءت به الحضارة الإسلامية، كما تنكروا لكل ما قدمته هذه الحضارة للبشرية من نتاج علمي وفكري في كافة مجالات الحياة وفي هذا المجال على وجه الخصوص، مع أنه الجذر الأكثر دقة تشريعياً وتطبيقياً.

وندل على ذلك بشهادة منظر من بني جلدتهم، حيث بيّن د. روبرت كراين مستشار الرئيس الأمريكي نيكسون، بأنّ جذور مدرسة القانون الطبيعي الذي يتغنّى بها الأوروبيون والأمريكان ما هو إلاّ نتاج المدرسة الإسلامية التي تؤمن بمبدأ الفطرة الإنسانية، وهي سابقة على الفلسفة الأوروبية بأكثر من عشرة قرون، حيث قال تعالى: ﴿فَطَرَتَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾<sup>(1)</sup>، كما أنّ الدستور الأمريكي تضمّن بين مواد العبارة الشهيرة للخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث قال: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً».

كل هذا وغيره يؤكد قصد تجاهلهم وتنكّرهم لنسب الفضل لأهله، كما يؤكد على أنّهم غير أمناء فيما يطرحونه وينسبونه إليهم وخصوصاً في موضوع دراستنا نظرية العقد الاجتماعي، حيث يوجد جذر تاريخي مهم يؤسس لهذه النظرية وهو صحيفة المدينة المنورة، لا بل ثبت ومن خلال البحث والتحريّ الدقيق أنّ هذا الجذر متقدّم على نظرية العقد الاجتماعي، حيث تمّ تطبيقه على أرض الواقع فور صدوره مباشرة ولم يبق تنظيراً خيالياً أسير بطون المؤلفات والكتب، كما حصل لنظرية العقد الاجتماعي وبشهادة أهلها، وذلك من خلال ما تمّ تقييده من انتقادات عليها، ولا بد من التأكيد هنا أنّ كل ما تمّ طرحه ضمن هذه السطور المتواضعة في مقدمة هذه الدراسة قد تمت مناقشته وتوثيقه، وفق أصول البحث العلمي، وهو ما يمكن ملاحظته في ثنايا البحث لاحقاً.

(1) سورة الروم، الآية 30.

## ثانياً: أهمية الدراسة

تكمُن أهمية هذه الدراسة في أنها تُسلط الضوء على جذر تاريخي أصيل لنظرية العقد الاجتماعي، تعود بداياته الأولية إلى أكثر من 1400 عام وهو (صحيفة المدينة المنورة)، رغم كل الحركات التنظيرية التي تمّت بهذا الخصوص، إلا أنه تمّ تهميش وتجاهل هذا الجذر وبصورة مقصودة، حيث أعطي لغيره من الجذور - الأقل أهمية ودقة وتشريعاً - مساحات بحثية واسعة وسلّطت عليها الأضواء رغم تدنّي مستواها ورداءة محتواها، لذا تأتي هذه الدراسة من ضمن الدراسات القليلة المنصفة، التي تزوّد الباحثين والمنظرين والمفكرين المهتمين بهذا الشأن شيئاً من الحقيقة المغيّبة عن صحيفة المدينة المنورة، ليُصار إلى الاستفادة منها والبناء عليها في دراساتهم وأبحاثهم العلمية المستقبلية، سواء في القضايا القانونية عامة أو في المجال الدستوري على وجه الخصوص.

## ثالثاً: أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز أهمية صحيفة المدينة المنورة كجذر تاريخي لنظرية العقد الاجتماعي، وبيان أهم المبادئ القانونية التي أسست لها هذه الصحيفة في الدفاع عن حقوق الإنسان وصور كرامته، وردم الفجوة بين مكوّنات المجتمع البشري عامة لقبول بعضهم بعضاً، وتعظيم مساحات التآلف والتسامح فيما بينهم من أجل تحقيق عيش مشترك، يحترم كل منهم خصوصية الآخر فيما يحمله من معتقدات وما يتبنّاه من أفكار وما يمارسه من عادات سعياً إلى تحقيق مستوى مقبول من السلم والأمن العالميين، للوصول إلى درجة متقدمة من التنمية التي ستفضي بدورها إلى حياة هانئة تمتاز بالأمان والرفاه الاجتماعي، كما تهدف الدراسة إلى التأكيد على أنّ الحضارة الإسلامية مارست أعلى درجات الرقي الاجتماعي والسياسي ودعت إليه، وأنّها حضارة أصيلة ذات جذور راسخة، لا كما يدعي بعض المنظرين بأنّها حضارة دخيلة متطفلة على ما يُقدمه لها الغير.

## رابعاً: مشكلة الدراسة

تتمثّل مشكلة الدراسة واقعياً في تهميش وتجاهل كل ما قدّمته الحضارة الإسلامية للمجتمع البشري وفي مختلف مجالات الحياة على وجه العموم، وفي مجال الدراسات الدستورية موضوع دراستنا على وجه الخصوص، أمّا المشكلة البحثية فتتمثّل في سعي الباحث إلى إماطة اللثام عن صحيفة المدينة المنورة، باعتبارها جذراً تاريخياً أصيلاً لنظرية العقد الاجتماعي، تؤسس لإعلان عالمي لحقوق الإنسان، وبناء دولة عالمية إنسانية ذات دستور مدني مكتوب تصون كرامة الأفراد وتحترم إنسانيتهم، بغض النظر عن المعتقد أو الفكر أو الجنس أو اللون.

### خامساً: فرضية الدراسة

تفترض الدراسة أن صحيفة المدينة المنورة تُشكل جذراً تاريخياً لنظرية العقد الاجتماعي، وأنها تُؤسس لإعلان عالمي لحقوق الإنسان كإنسان، بغض النظر عن كل المتغيرات التي تُحيط به، كما أنها تُمثل أول دستور مكتوب في تاريخ البشرية لدولة مدنية إسلامية قبل أكثر من 1400 عام، ملأت الأرض عدلاً وعلماً ورقياً.

### سادساً: منهجية الدراسة

ستتبع الدراسة المنهجين الاستقرائي والتحليلي لتتبع أهم ما كتب في هذا الخصوص، ثم دراسته دراسة دقيقة وتحليله بمنهجية علمية أصيلة، لتأطير أهم ما تُقضي إليه هذه الدراسة في صورة نتائج وتوصيات، نسأل الله تعالى أن يُكتب لها تفاعلاً فكرياً مثمراً وتطبيقاً عملياً نافعاً.

### سابعاً: الدراسات السابقة

1. دراسة: عبدالعزيز محمد الخلف، وثيقة المدينة المنورة ودورها في إرساء المواطنة، مجلة مقاربات، المجلس الإسلامي السوري<sup>(2)</sup>؛ ركزت هذه الدراسة في بداياتها على بيان مدى صحة وتوثيق صحيفة المدينة المنورة، وهل لهذه الصحيفة أصول مثبتة في كتب السنة المطهرة، لأن أقوال العلماء قد تباينت بين من يقول إن الخبر قد تواتر ومن يقول بغير ذلك، وقد خلصت الدراسة إلى ورود هذه الصحيفة في العديد من كتب السنة الصحيحة المعتمدة بأسانيدھا المختلفة، ثم قام الباحث بدراسة وتحليل بنود الصحيفة وبيّن أنّها تحوي العديد من المبادئ الدستورية، كما أنّها تسهم وبشكل كبير في تأسيس دولة مدنية تعطي حقوقاً متساوية لكل سكان المدينة بعيداً عن أعراقهم وأديانهم، وقد بيّن الباحث دور الصحيفة في إرساء التعايش بين مكونات المجتمع المدني.

2. دراسة: خالد عليوي جيد، حقوق الآخر في ضوء وثيقة المدينة المنورة: تأصيل لمبدأ التعايش، مجلة رسالة الحقوق، كلية القانون، جامعة كربلاء، العراق، السنة الرابعة، العدد الثاني، 2012<sup>(3)</sup>؛ تبحث الدراسة في حقوق الآخر في ضوء صحيفة المدينة المنورة التي تمثل أول دستور مكتوب بعد القرآن الكريم

(2) منشورة على الموقع التالي: <https://sy-sic.com/?p=7777>، آخر زيارة بتاريخ: 2021/10/11.

(3) الدراسة منشورة على الرابط التالي: <https://www.iasj.net/iasj/download/457771c755d0ef2f/>

آخر زيارة بتاريخ: 2021/10/11.

في التاريخ الإسلامي، حيث حرص الرسول صل الله عليه وسلم من خلالها على التأكيد على أهمية التعايش بين بني البشر بمختلف أطرافهم ومعتقداتهم وتوجهاتهم لتأسيس دولة مدنية إسلامية في ظل هذه التعددية المتناقضة، وقد خلصت الدراسة إلى أن عالمنا الإسلامي موجود في واحدة من أكثر بقاع العالم اختلافاً وتوعاً ثقافياً، سواء على مستوى الهوية الإسلامية الواحدة أو على مستوى الهويات الأخرى، مما يُحتم على الجميع السعي والمبادرة إلى تأكيد مبدأ التعايش بين جميع هذه المكونات، وأن هذه الحالة المنشودة من التعايش هي واجب شرعي تفرضه الشريعة الإسلامية التي تنظر إلى هذا التنوع كسنة إلهية لا يمكن إنكارها، لا بل يجب استثمارها والإفادة منها وتوظيفها إيجابياً في بناء مجتمع مدني قوي متماسك يحترم كرامة الفرد وإنسانيته بصرف النظر عن معتقده أو عرقه أو توجهه الفكري.

**3. دراسة: مجموعة مؤلفين، وثيقة المدينة... دراسات في التأصيل الدستوري للإسلام، مركز دراسات الكوفة، جامعة الكوفة، مكتبة مؤمن قريش، بيروت، 2014؛** صدرت هذه الدراسة في صورة كتاب تضمّن العديد من الأبحاث التي عُرضت في مؤتمر نُظّم من قبل مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي بالتعاون مع مركز دراسات الكوفة، حيث عقد هذا المؤتمر في بيروت عام 2014 بهدف مناقشة «صحيفة المدينة»، كأساس شرعي بالمعنى العلمي للأصل الشرعي للتجربة الحضارية المعاصرة في بناء دولة مدنية على أساس إسلامي، أو ذات مرجعية إسلامية في عالم اليوم، حيث تضمّن الكتاب عشر دراسات تناولت مختلف القضايا التي تتعلق بصحيفة المدينة، مثل علاقة الحاكم والمحكوم في نظام الحكم الإسلامي، من خلال بنود الصحيفة، والكيفية التي يتعامل بها نظام الحكم الإسلامي مع الأقليات الدينية الأخرى.

ومن بين أبرز الأمور المهمة التي أثبتتها هذه الدراسات أن نظام الحكم الإسلامي - وفق التجربة النقية التي تمثلها دولة النبوة في المدينة المنورة - قد عرف الكثير من الأمور التي لا تزال الدول القومية المعاصرة بنظمها السياسية الحديثة تجاهد؛ لكي تصل إليها، مثل «التعايش السلمي»، و«العدالة الانتقالية» التي تجسّدت في نموذج المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار من جهة وبين المجتمع المسلم في المدينة المنورة وبقية أتباع الديانات الأخرى من جهة ثانية.

وخلص المشاركون في الكتاب إلى أن التجربة التأسيسية للدولة في الإسلام قامت على أساس أن التعاقد الاجتماعي هو أساس بناء المجتمع المدني، وأن العقد الاجتماعي تمثّل

بالدستور المدني (صحيفة المدينة) الذي حدّد الحقوق والواجبات للأفراد والسلطات، وقد أوصى المشاركون بضرورة تعميق ثقافة العيش المشترك من خلال نصوص الصحيفة وما يناظرها من نصوص نبوية، والاستفادة من مختلف الأصول الشرعية المماثلة، في بناء علاقات خارجية جيدة مع الجوار.

### ثامناً: خطة البحث

لتحقيق أهداف الدراسة، فقد اقتضت خطة البحث أن تكون على النحو الآتي:

المبحث الأول: التعريف بمفردات الدراسة وجذورها التاريخية

المبحث الثاني: مدى توافق صحيفة المدينة المنورة مع نظرية العقد الاجتماعي

المبحث الثالث: دور صحيفة المدينة ونظرية العقد في إرساء قواعد الدولة المدنية وتحقيق الأمن المجتمعي

## المبحث الأول

### التعريف بمفردات الدراسة وجذورها التاريخية

كل دراسة بحثية تتبع المنهجية العلمية الصحيحة لا بد لها من التمهيد بمدخل تعريفي يضع القارئ في إطار تصوّر أولي عن طبيعة القضايا الجديدة والمفردات المهمة ذات الصلة التي سيتم التطرّق لها في ثنايا الدراسة، وعليه كان هذا المبحث لتحقيق هذه الغاية، حيث اقتضى الأمر أن يشتمل على ثلاثة مطالب هي:

المطلب الأول: مفهوم نظام البيعة في الإسلام كهيئة تأسيسية لصحيفة المدينة المنورة

المطلب الثاني: مفهوم الآخر والعيش المشترك لدى الحضارة الإنسانية

المطلب الثالث: البدايات النظرية والتطبيقية لنظرية العقد الاجتماعي والمفهوم الفلسفي لها

### المطلب الأول

#### مفهوم نظام البيعة في الإسلام كهيئة تأسيسية

#### لصحيفة المدينة المنورة

ما كان للرسول صل الله عليه وسلم أن يُفاجئ هذا المجتمع الفتى الجديد بحزمة من المواد التنظيمية التي تغطي جميع مناحي الحياة دون أن يمهد لذلك بإعمال فكره النير المتقد واستشارة من حوله من أهل الحل والعقد، سواء من أهل مكة أو من أهل يثرب، فكانت البيعتان الأولى والثانية كمحطات تفاوضية تفاهمية على ما يمكن أن يُؤسس عليه لبناء المرحلة القادمة، وهذا ما سيتم بحثه في الفرعين الثاني والثالث، ولكن الدخول بهما كان لا بد وفي الفرع الأول من عرض حال الحضارة الأوروبية الموازية والمزامنة للحضارة الإسلامية آنذاك.

### الفرع الأول

#### حال المجتمع الأوروبي قبيل التحضير

#### لصياغة صحيفة المدينة المنورة

في الوقت الذي كانت فيه أوروبا ترزح تحت وطأة الظلم والاستبداد في ظل نظام الإقطاع المتعاون مع الكنيسة آنذاك، حيث أضحى وضع الناس فيه أسوأ من وضعهم زمن نظام



الرق؛ فعلى الأقل كان للإنسان قيمة وُثمن يُباع ويُشترى به، أمّا في ظل نظام الإقطاع فلم يعد عندهم للإنسان قيمة بذاته، وإنّما أصبح يُباع ويُشترى بصورة تبعية وغير مباشرة تبعاً للإقطاعية موضع البيع والشراء، ولهذا سُميت هذه الفترة (العصور الوسطى) بعصور الظلمة، وفي الجانب الآخر وبالتزامن مع عصور الظلمة في أوروبا كانت هناك حضارة إسلامية رديفة راقية متحضرة، - على عكس ما كانت عليه الحضارة الأوروبية - حرّرت الإنسان من الرق والعبودية لغير الله تعالى؛ فرفعت عنه الظلم وأطلقت له العنان ليُفكر وينتج ويبتكر في جميع مجالات الحياة عامةً، فملأوا الدنيا علماً وتقدماً ورقياً وتمدناً<sup>(4)</sup>.

أمّا فيما يتعلّق بموضوع دراستنا (نظرية العقد الاجتماعي) فقد حصلت سلسلة من الأحداث بهذا الخصوص، بدأت بمرحلة أولية مهّدت لما بعدها، وهي مسألة البيعة بشقيها الأولى والثانية، وذلك بسبب ما لقيه الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام من اضطهاد ورفض ومعارضة لهذا الفكر الجديد وهو الدين الإسلامي، فتوجّهت الأنظار إلى ترك مكة مرحلياً والبحث عن بيئة بديلة مناسبة وملائمة لقيام وتأسيس وتشيت أركان الدولة الإسلامية الجديدة، فكان الخيار صوب (يثرب) المدينة المنورة.

## الفرع الثاني

### البيعة الأولى والثانية كتأسيس أولي

#### لصيافة صحيفة المدينة

عرض الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه على من جاء من أهل المدينة في موسم الحج وكانوا لا يزالون على شركهم، وقضت حكمة الله تعالى أن تجد الدعوة طريقها السهل الآمن إلى قلوب هذه الجماعة من أهل المدينة، فحصلت بيعة بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم سُميت بالبيعة الأولى، وتمّ التواعد على اللقاء في موسم الحج القادم، ولكن على نحو أقوى وبترتيب أفضل وجمع أكبر من هذا الذي حضر هذه المرة<sup>(5)</sup>، وبالفعل كان اللقاء في موسم الحج التالي وحصلت البيعة الثانية بين ممثلين ثقافتهم وزنهم بين ربعمهم من أهل المدينة وبين الرسول صلى الله عليه وسلم، على أن يتبعوا هذا الدين الحنيف وأن يحموا الرسول صلى الله عليه وسلم ومن سيهاجر معه من أهل مكة، وأنّ الولاية عليهم للرسول

(4) مضوح بن محمد آل مضوح، العقد الاجتماعي بين الإسلام وفلسفات البشر، مقال منشور على الموقع الإلكتروني التالي بتاريخ <https://ar-ar.facebook.com/notes/183522548359605> 2011/4/5، آخر زيارة بتاريخ: 2021/10/11.

(5) شرف الدين عبد الحميد أمين، النشأة التعاقدية لدولة الرسول ﷺ وتأسيس الوحدة الوطنية، منشور على الموقع التالي: <https://mominoun.com/articales/5077>، آخر زيارة بتاريخ: 2021/10/11.

صلى الله عليه وسلم بما يُصلح شأنهم في كافة شؤون حياتهم ومعاشهم<sup>(6)</sup>.

ويرى الباحث أن البيعة لم تكن تنظيراً خيالياً فحسب كما هو الأمر بخصوص نظرية العقد الاجتماعي التي لم ترَ النور بعد، وإنما كانت البيعة واقعاً عملياً تطبيقياً تأسيسياً، أي أنها أسست وبصورة عملية (كهيئة تأسيسية) لمرحلة قادمة تُترجم إلى رؤى وتوجهات يُبنى عليها تأسيس دولة ناشئة، وهذا ما كان بالفعل حيث تمت هجرة الحبيب صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام من مكة المكرمة إلى (يثرب) المدينة المنورة، وما أن استقر بهم الأمر حتى شرع الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام من المهاجرين والأنصار بالإعداد والتحضير لإصدار صحيفة المدينة المنورة التي شكّلت أول دستور مدني مكتوب في تاريخ البشرية<sup>(7)</sup>.

كما يرى الباحث وبدون مبالغة أو تحيز أن هذه هي المرة الأولى في تاريخ البشرية التي يتم فيها تطبيق عملي لنظرية العقد الاجتماعي بين الحاكم والمحكوم، ومثله ما تمّ من بيعة مع بقية الخلفاء الراشدين، على أساس نظريه الحكم المقيّد المنوط بتحقيق مصلحة الرعية بإسعاد العباد وإعمار البلاد، فيما عدا ذلك - من قبل ومن بعد - لم نلاحظ واقعاً تطبيقياً عملياً لهذه النظرية، وإنما نلاحظ تغني وتباهي نظري فحسب، ولكن عند النزول لأرض الواقع نجد عدم التزام بهذه النظرية إما بالتلاعب والتزوير أو بالانقلاب الفوري على نتائج الانتخابات، وذلك من خلال مخالفة أسس قواعد الدستور أو الالتفاف عليها بإعلان حالة الطوارئ بالتدريج بطرّف ممتعلة وما أن تنتهي حالة الطوارئ حتى يكون الحاكم قد أسس أموره لحكم مستبد ظالم يُدمر البلاد ويقهر العباد.

كما ذهب البعض إلى التفرقة بين البيعة وصحيفة المدينة المنورة، باعتبار أن البيعة هي عقد سياسي بامتياز لأنه يفرض على تحديد شخص الحاكم وتفويضه بإدارة شؤون البلاد وتسيير أمور العباد، ومن أهم ما يدعم وجهة النظر هذه عدم اعتماد الصحابة والخلفاء الراشدين على الصحيفة لاختيار الخلفية بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بعده بقية الخلفاء<sup>(8)</sup>، أما بخصوص الصحيفة فهم يرونها عقداً اجتماعياً مدنياً بامتياز بين مكونات المزيج البشري في هذا المجتمع المدني على مختلف توجهاتهم ومعتقداتهم،

(6) صالح، محمد مجذوب محمد، وثيقة المدينة بين مبدأ المواطنة وأصل الاستخلاف، مجلة الجزيرة (تفكر)، مجلد 18، العدد 2، السنة 2018م، ص 6، منشور على الرابط التالي: <https://journals.uofg.edu.sd/index.php/ftkrarticalreview12431322.pdf>، آخر زيارة بتاريخ: 2021/10/11.

(7) شرف الدين عبد الحميد أمين، مرجع سابق.

(8) محمد عابد الجابري، العقد الاجتماعي «وعقد البيعة» وتغييب صحيفة النبي ﷺ. صحيفة الاتحاد الإماراتية، بتاريخ 2004/10/25 م <https://alittihad.ae/wejhatarticales/7686>، آخر زيارة بتاريخ: 2021/10/11.

تُبَيَّن وتُحدَّد حقوق والتزامات كل فئة منهم، فهي تشكّل عقداً فيما بينهم مجتمعين من جهة لتنظيم علاقاتهم وتصرفاتهم، وبينهم وبين الحاكم الذي تمّ تعيينه بالبيعة من جهة أخرى؛ لتحقيق العدالة الاجتماعية والمساواة وتكافؤ الفرص فيما بينهم وتسوية منازعاتهم، وكذا من أجل استثمار طاقاتهم لحمايتهم والدفاع عن ممتلكاتهم وصون مكتسباتهم، لإعمار البلاد وإسعاد العباد<sup>(9)</sup>.

وسنشير في غير موضع من هذه الدراسة إلى بعض المقتطفات من خطب الخلفاء الراشدين للرعية عند توليهم زمام الأمر<sup>(10)</sup>، كما ونشير هنا إلى أنّ ابن خلدون ينظر إلى البيعة على أنّها: «عهد على الطاعة وكأنّ المبايع يعاهد أميره على أن يسلم له النظر في أمر نفسه وأمور المسلمين لا ينازعه في شيء من ذلك، ويطيّعه فيما يكلفه به من الأعمال على المنشط والمكروه»، فما أوجنا إلى قراءة صحيفة المدينة بعقل وإيمان وأن نطبّقها برشد واتزان لنؤسس لعيش واحد لا لعيش مشترك<sup>(11)</sup>.

### الفرع الثالث

## المؤاخاة كنموذج للتكافل والتضامن والتأمين الاجتماعي

### بين فئات المجتمع المسلم

يجب ألا ننسى حدثاً مهماً أيضاً رافق وزماناً كلاً من حدثي البيعة والصحيفة، ألا وهو مسألة المؤاخاة بين فئات المسلمين المختلفة، هذا الحدث الذي أسس لركيزة قوية تقوم عليها أهم لبنات الدولة المدنية في الإسلام، وهي تكافل وتضامن المسلمين فيما بينهم في السراء والضراء، يُعين بعضهم بعضاً فلا تجد بينهم محتاجاً أو معوزاً، وهذا ضرب متميّز ومتحصّر في مجال التأمينات الاجتماعية لمحاربة جيوب الفقر والحدّ من البطالة<sup>(12)</sup>، ومن خلال ما تقدّم يتقرّر لنا بأنّ الحضارة الإسلامية كانت من أول الحضارات التي وضعت جذراً تاريخياً متيناً لنظرية العقد الاجتماعي، لا بل وطبّقته وممارسته عملياً على أرض الواقع لتؤكد جدواه ونجاعته، حيث كان نتاج ذلك تأسيس دولة مدنية يحكمها دستور مدني مكتوب (صحيفة المدينة)، دولة مدنية ذات طابع ديمقراطي حضاري راسخ متأصل

(9) محمد مجذوب محمد صالح، مرجع سابق، ص 7.

(10) مضوح بن محمد آل مضوح، مرجع سابق.

(11) بلال عقل الصنديد، من العقد الاجتماعي إلى العقل الاجتماعي، صحيفة الجريدة الكويتية، عدد بتاريخ 2021/3/28، الموقع الإلكتروني: <https://aljarida.com/articales/161857422816190500>، آخر زيارة

بتاريخ: 2021/10/11.

(12) محمد عابد الجابري، مرجع سابق.

فيها وليست دخيلة عليه<sup>(13)</sup>، كما يدعي البعض من المنظرين والمفكرين المتحيزين لكل ما هو غربي متغنين بمقولة «كل فرنجي برنجي»، أي أنهم يؤمنون بأن كل ما يأتي من عند الغرب فهو حسن وجميل، والمؤسف جداً أن هؤلاء المنظرين والمفكرين ناصبوا هذه الصحيفة العداوة ولم يستفيدوا منها بشيء، كما لم يسهموا بتقديمها للمجتمع البشري ليستفيد منها غيرهم.

## المطلب الثاني

### مفهوم الآخر والعيش المشترك

#### لدى الحضارة الإنسانية

منذ وجود الإنسان على هذه البسيطة وهمم الأكبر في كيفية تقبل هذه المجتمعات البشرية المحيطة به جغرافياً مع كل ما تحمله من تباين واختلاف في الفكر والمعتقد والعرق واللون، ولهذا فإن استقرار وتقدم وازدهار أي مجتمع مرهون بمدى تقبله للآخر، وإلا فالنتيجة الحتمية لرفض الآخر هي الاقتتال والتناحر والدمار المفضي إلى التخلّف والتراجع، ولهذا كان قبول الآخر مطلباً أساسياً وركناً مهماً في بناء الدولة الإسلامية الحديثة آنذاك، وهو ما أكدت عليه صحيفة المدينة المنورة، وهذا ما سيتم تناوله في الفروع الآتية.

## الفرع الأول

### مكونات المجتمع المدني كنموذج للتعددية

#### بمختلف صورها

عند الحديث عن الآخر ومحاولة الوصول إلى عيش مشترك، يتبادر للذهن مباشرة أننا في مجتمع أو بيئة متعدّدة الأصول والمنابت والولاءات والأعراف والتقاليد وتعدّد في الرؤى والتوجهات الفكرية، لهذا لا بد من طرح أو اقتراح مجتمع دراسة تتوافر فيه كل هذه المتناقضات، ولكي يكون الطرح واقعياً لا تنظيرياً ولا خيالياً، يمكننا القول إنّ الأمر لا يحتاج إلى عناء كثير للعثور على هذه العينة لاستخدامها كمجتمع للدراسة؛ لأنّه وبكل

(13) بركات الزبود، دستور المدينة المنورة أول وثيقة قانونية وضعها النبي ﷺ قبل 14 قرناً، صحيفة الدستور الأردنية، عدد بتاريخ 2020/10/30م، الموقع الإلكتروني: <https://addustour.com/articales/1179827>، آخر زيارة بتاريخ: 2021/10/11؛ محمد عبدالمحسن المقاطع، دولة المدينة المنورة دولة الإسلام النموذج، صحيفة الجريدة الكويتية، عدد بتاريخ 2019/6/19م، الموقع الإلكتروني: <https://aljarida.com/articales/print/15608770312780180000>، آخر زيارة بتاريخ: 2021/10/11.

بساطة يمكن الاعتماد على هذا المزيج المتباين والخليط المعقد الذي يضمه مجتمع المدينة المنورة كمجتمع للدراسة، حيث تتوافر فيه كل هذه المتغيرات والتناقضات؛ ودليل ذلك أن كل مواد وبنود الصحيفة تبيّن وتوضّح وتعالج مثل هذه التناقضات والقضايا<sup>(14)</sup>، فمجتمع المدينة المنورة يضم كل ما تقدّم من تناقضات ففيه المسلم والكتابي والكافر، وفيه البدوي والريفي والحضري، وفيه العربي والعجمي، وفيه المسالم والمحارب، وفيه الموالي لأهل المدينة وذو الولاء الخارجي لإمبراطوريات ذلك العصر كالروم والفرس<sup>(15)</sup>.

ويرى الباحث وبالاعتماد على ما تقدّم أنّه من السهل إجراء مقارنة بسيطة وسريعة بين ظروف وأحوال المجتمع المدني قبل الصحيفة وبعدها لدراسة مدى تحقيق مدلول مفهوم قبول الآخر والعيش المشترك، حيث إنّ من المعلوم والثابت تاريخياً أنّ ظروف وأحوال أهل المدينة المنورة (يثرب) قبل الصحيفة كانت في أحلك وأصعب ما يمكن تصوّره؛ حيث كان يُخيّم عليها الاقتتال والصراع الدموي والفتن المتلاحقة بين كل مكوّنات هذا الخليط غير المتجانس، وكان لليهود كعادتهم دور كبير في تغذية هذه الصراعات وإذكاء الفتن، هذا ناهيك عن شيوع كل ضروب الغش والاحتيال والاستغلال والظلم والقطيعة والتدابير؛ وعليه لم يكن لمفهوم قبول الآخر والتعايش أو العيش المشترك أي حظ أو نصيب لا واقعياً ولا حتى في مجال الخيال والتنظير.

## الفرع الثاني

### استثمار صور التعددية والاختلاف كعوامل

#### بناء اقتصادي واجتماعي وثقافي

عندما جاء الرسول صلى الله عليه وسلم وشرف هذا المكان الطيب - المدينة المنورة - عمد فوراً إلى إصدار الصحيفة؛ بعد التشاور مع أهل الحل والعقد ممّن هم حوله من أهل المدينة، وما نظر إلى هذا التعدد والتناقض إلا نظرة تفاؤل وبشر، ولم يهمل أو يهّمش أياً من هذه المكوّنات؛ لا بل حدّد لكل فئة أو طائفة ما يصلح شأنها من حقوق، وحمل الجميع وبالتساوي ما يتوجّب عليهم من التزامات، وخاصة في الجانب الأمني للذود عن جَمي هذه

(14) عبد الحميد محمود البعلي، المدخل لدراسة الشريعة والفقه الإسلامي، ط 5، منشورات كلية القانون الكويتية العالمية، 2019م، دولة الكويت، ص 284-280.

(15) راغب السرجاني، وثيقة المدينة... النموذج الأمثل للتعايش، منشور على الموقع الإلكتروني قصة الإسلام، بتاريخ 2018/3/11م: <https://islamstory.com/articales/3408344>، آخر زيارة بتاريخ 2022/9/9.

الدولة الفتية<sup>(16)</sup>. فأقرَّ كلاً منهم على دينه ومعتقده؛ إعمالاً لقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾<sup>(17)</sup>، كما أقرَّ كلاً منهم على عاداته وتقاليده، وحمى وحصن لكل منهم ممتلكاته وحرَّم الاعتداء عليها أو استخدامها إلا بإذنه، وعالج كل الرواسب المترابطة عن فترة الصراع والافتتال السابقة؛ لكي تصفى النفوس ويزول الحقد وتنتهي الضغينة.

كما أعطى صلى الله عليه وسلم حقَّ المواطنة للجميع (الجنسية)، واحترم حقوق الجميع بالتعبير عن رأيه وممارسة طقوسه الدينية وعاداته الاجتماعية بما لا يضر بالغير، وأدكى بينهم روح التعاون والتكافل وشجّعهم على فداء الأسرى وترك الثأر وما يفضي إليه، وحصر مسؤولية الجاني بنفسه وأهل بيته ولم يُعدها إلى البطون والعشيرة الأكبر، واشترط عليهم أن يكونوا يداً واحدة على عدوهم؛ ولا يجوز لأي منهم التعاون مع العدو ولا بأي صورة من الصور؛ وعدَّ ذلك جريمة عظيمة (الخيانة العظمى)، حيث يترتب عليها عقاب شديد عواقبه وخيمة<sup>(18)</sup>.

والأهم من ذلك كله أن الرسول صلى الله عليه لم يكتفِ بأن قيّد ذلك في الصحيفة، وجعل كل ممثلي هذه المكونات المتعدّدة لمجتمع المدينة توقع عليه؛ فلم يكتفِ بهذا الجانب التحريري فحسب، بل عمد فوراً إلى التطبيق الواقعي العملي لكل ما تقدّم دون تردد أو تأجيل<sup>(19)</sup>، وخلال فترة وجيزة جداً أصبح مجتمع المدينة ذلك المجتمع المتجانس المتحاب المتآلف؛ تسوده روح التعاون والخير والبشر والسعادة، ولم يصل هذا المجتمع إلى تحقيق مفهوم قبول الآخر والعيش المشترك فحسب؛ بل تعدّى ذلك إلى تحقيق مفهوم عيش واحد لا عيشاً مشتركاً<sup>(20)</sup>.

كما أنّ الصحيفة مكّنت هذا المزيج المختلف المتعدّد من الاستقلال داخلياً بإنشاء كل ما يلزمه من أنظمة مستقلة في جميع مجالات الحياة المختلفة اقتصادياً واجتماعياً ودينياً وثقافياً، بشرط ألا يتعارض ذلك مع تحقيق الأسس العامة التي تقوم عليها أركان المجتمع من عدل ومساواة وتكافؤ للفرص<sup>(21)</sup>، وتعدّى هذا الأمر إلى تجسيد مبادئ حقوق الإنسان

(16) خالد عليوي جباد، حقوق الآخر في ضوء وثيقة المدينة المنورة: تأصيل إسلامي لمبدأ التعايش، مجلة رسالة الحقوق، جامعة كربلاء، العراق، السنة 4، العدد2، سنة 2012م، ص 5، منشور على الموقع الإلكتروني التالي: <https://law.uokerbala.iq/wp/blog/2013/01/31/no-2-2012>، آخر زيارة بتاريخ: 2021/10/11.

(17) سورة البقرة، الآية 256.

(18) راغب السرجاني، مرجع سابق.

(19) بركات الزيود، مرجع سابق.

(20) بلال عقل الصنديد، مرجع سابق.

(21) أبو بكر علي مصطفى جلال الدين، مقوّمات المجتمع المدني في الإسلام من خلال صحيفة المدينة (1هـ - 11هـ)، مركز المجدد للبحوث والدراسات، اسطنبول، بتاريخ 2020/3/27م، منشور على الموقع الإلكتروني: <https://almojaded.com/2020/03/27/>، آخر زيارة بتاريخ: 2021/10/11.

وصون كرامته واحترام إنسانيته بغض النظر عن معتقده أو توجهه الفكري على أسس من التسامح والسلم والمحبة<sup>(22)</sup>، حيث حرصت الصحيفة كل الحرص على قبول هذا التعدد والاختلاف واستثمرته وبنّت عليه؛ فنظرت إلى ذلك كواجب شرعي وسنة كونية؛ لا من قبيل الترف الاجتماعي أو مكرمة أو منة يتفضل بها الحاكم على رعيته؛ كما يحدث في غير مكان في وقتنا الحاضر المرير<sup>(23)</sup>.

والناظر إلى المجتمع الدولي في هذه الأيام يجد أنّ معظم أصحاب القرار والمفكرين والمنظرين وفي جميع أنحاء العالم؛ يتوافقون على تكريس الفرقة والتشردم وتأجيج الصراعات العرقية والحروب الأهلية والنزاعات الطائفية بثمن رخيص بخس، من أجل قهر الشعوب والسيطرة على ثرواتها ومقدّراتها، في حين أنّ الصحيفة استثمرت هذا التعدد والاختلاف بشكل إيجابي لقبول الآخر وتحقيق العيش المشترك مقارنة بما يحصل في هذه الأيام من استثمار لهذا التعدد والاختلاف بصورة سلبية من أجل تدمير البلاد وإهلاك العباد<sup>(24)</sup>.

### المطلب الثالث

## البدائيات التنظيرية والتطبيقية لنظرية العقد الاجتماعي

### والمفهوم الفلسفي لها

لا شك أنّ الحضارة الإنسانية بحثت كثيراً عن آلية تتوافق عليها هذه المجاميع البشرية لتؤلف فيما بينها تنظيماً معيناً يقودها نحو الأمان والاستقرار، حيث وضع الكثير من المفكرين البذور الأولية لهذا التوافق الاجتماعي الذي أطلق عليه لاحقاً بنظرية العقد الاجتماعي، إلا أنّ الأمر بقي في الإطار الفكري التنظيري فحسب إلى أن جاءت الدولة الإسلامية، وأنزلت كل هذا الفكر على الواقع التطبيقي المعاش كمنهج حياة، وهذا ما سنعرض له في الفروع الآتية:

(22) ولد الزين ولد الإمام، وثيقة المدينة المنورة كأول وثيقة تؤسس لحقوق الإنسان، الموقع الإلكتروني (موريتانيا المعلومة)، منشور بتاريخ 2017/12/10م، <https://mauiactu.info/ar/articales>. آخر زيارة بتاريخ: 2021/10/11.

(23) خالد عليوي جباد، مرجع سابق، ص 3.

(24) المرجع السابق، ص 19.

## الفرع الأول

### البدايات النظرية والتطبيقية

#### لنظرية العقد الاجتماعي

نظرية العقد الاجتماعي نظرية قديمة جداً من الجانب التنظيري؛ إذ تعود بداياتها إلى ما قبل الميلاد، حيث تجسّد في مضمونها معنى الديمقراطية، وأول من طرح فكرة الديمقراطية (نظرية العقد الاجتماعي) هو الفيلسوف الصيني كونفوشيوس قبل حوالي 300 عام من ميلاد السيد المسيح عليه السلام، حيث كان الاعتقاد السائد لديهم آنذاك أنّ الحاكم مُفوّض من الله تعالى، وفق عقد يبرمه مع الجماعة البشرية التي يعيش معها يسمّى بالعقد الاجتماعي، وعليهم طاعته واحترامه لأنّه يستمد هذا الحقّ من الله تعالى، وعلى الحاكم أن يلتزم بنصوص هذا العقد في حقّ الرعية أو الجماعة، وما كان هذا إلاّ طرحاً نظرياً من قبل الفيلسوف كونفوشيوس ومن عاصره في هذه الأثناء مثل الفيلسوف موتسي والفيلسوف سينيكا<sup>(25)</sup>، واستمر تبني هذه النظرية حتى عصر الفيلسوف أفلاطون ومعاصره الفيلسوف جلوكوت، حيث يرون أنّ الأفراد قد توافقوا على إبرام عقد فيما بينهم لكي لا يتظالموا ويسعوا جاهدين لتحقيق العدالة الاجتماعية للجميع، وهكذا تتابع الاهتمام بهذه النظرية إلى بدايات العصر الحديث، حيث قام الفيلسوف اليوناني إيناس سوليس في بداية القرن الخامس عشر بعرض فكرة العقد الاجتماعي في كتابه (مصدر السلطة الرومانية وضماناتها)، حيث فرّق بين العقد الاجتماعي الذي يبرم بين الأفراد لينظّم علاقاتهم وبين العقد السياسي الذي يبرم مع آلية ممارسة الحكم وصلاحيات الحاكم<sup>(26)</sup>.

واستمر الأمر هكذا إلى أن جاء كل من الفلاسفة (توماس هوبز) مع بدايات القرن السابع عشر و(جون لوك) في منتصف القرن الثامن عشر و(جان جاك روسو) وغيرهم ممّن اهتم بنظرية العقد الاجتماعي، حيث كانت لهم وجهات نظر مختلفة تأسست عليها هذه النظرية، إذ يرى هوبز وأنصاره أنّ البشر كانوا يعيشون حياة الفوضى والحروب وأرادوا أن ينتقلوا إلى حياة نظامية يحكمها القانون والنظام، فاتفقوا فيما بينهم على أن يتنازلوا عن قدر من حرياتهم الشخصية ويمنحوها للحاكم لكي يحكم بينهم ويحقّق العدل فيما بينهم، وهو غير مقيّد في ذلك، كما أنّه غير مسؤول أمامهم عن شيء، فأسسوا بذلك لما عُرف لاحقاً بالملكية المطلقة التي انبثقت عنها فكرة (أنّ الملك لا يُخطئ).

(25) صباح كريم رياح الفتلاوي، نظرية الحقّ الإلهي والعقد الاجتماعي، مجلة مركز دراسات جامعة الكوفة، العراق، العدد 10، سنة 2011، ص10، منشور على موقع دار المنظومة:

<https://mandumah.com/record/233823>، آخر زيارة بتاريخ: 2021/10/11.

(26) المرجع السابق.



أما لوك وأنصاره وعلى رأسهم جان جاك روسو، فقد رأوا بأنّ البشر كانوا ينعمون بحياة طبيعية يسودها الحب والوثام، لكن ومع مرور الأيام فقد تطوّرت الحياة وتعددت الأوضاع بتزايد أعدادهم، فبدأوا يشعرون أنّهم بحاجة إلى حالة من النظام ومنظومة من القوانين التي تنظّم حياتهم وتحدّد واجبات والتزامات كل منهم تجاه الآخر، فقاموا بإبرام عقد فيما بينهم ومع الحاكم ليتولّى الأمر، ويعمل كل ما بوسعه لتحقيق العدالة الاجتماعية بينهم، وأنّ صلاحيات الحاكم منوطة بتحقيق مصلحتهم، وإذا ما حاد أو انحرف عن ذلك فهو مُعرّض للمساءلة من قبلهم، وبهذا فقد أسسوا لفكرة الملكية المقيدة، واعتبروه رأس الهرم الذي يعلو السلطات الثلاثة التشريعية والقضائية والتنفيذية، وبناءً على ذلك يتمّ تشكيل الحكومات لإدارة البلاد تكون خاضعة للرقابة من قبل الشعب، فإذا أساءت التصرف تُعزل وتُحاسب ويُشكّل غيرها وهكذا<sup>(27)</sup>.

## الفرع الثاني

### المفهوم الفلسفي لنظرية العقد الاجتماعي

بالاعتماد على ما تقدّم، يمكن تحديد مفهوم نظرية العقد الاجتماعي كما ورد في قاموس الفلسفة بالآتي: «هو الاتفاق بين أفراد وقوة حاكمة، حيث يتمّ التنازل إرادياً عن بعض الحريات الشخصية مقابل منفعة تتمثّل في مجتمع حسن التنظيم وحكومة رشيدة». وفي معرض هذا الأمر، يقول ابن خلدون: «إن الحكومة ظاهرة طبيعية للمجتمع وأول مظاهرها هو تجمع السلطة في يد رئيس واحد، وقيامها ضرورة اجتماعية، إذ تسير في بدايتها بمقتضى شهوة الحكم ويغلب عليها حب السيطرة والطفان، إلا أنّ المجتمع سرعان ما يتطلّب تطوّر تنظيم العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وهذه حقيقة اجتماعية لا يخلو منها أي مجتمع<sup>(28)</sup>».

ويرى الباحث بعد هذا العرض الموجز لأهم الأفكار والمفاهيم، وكذا التطوّر الذي تمّ طرحه من قبل الفلاسفة والمفكرين الغربيين والشرقيين، ومن سار في ركبهم من بني جلدتنا، فيما يتعلّق بنظرية العقد الاجتماعي بأنّه تمّ تجاهل وإغفال حقبة زمنية كما تمّ التنكّر لها، حيث بدأت هذه الحقبة مع بدايات القرن السادس الميلادي سادت فيها

(27) نبأ نزار الربيعي، نظرية العقد الاجتماعي، الموقع الإلكتروني لكلية القانون، جامعة بابل، العراق، منشور بتاريخ 2015/1/29م: <https://uobabylon.edu.iq/uobcoleges/service-showrest.aspx?fid=6289>.  
آخر زيارة بتاريخ: 2021/10/11.

(28) عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، م2، ط2، تحقيق: علي عبدالواجد وافي، لجنة البيان العربي، القاهرة، د.ت، ص 683.

حضارة راقية مُشرقة ملأت الأرض عدالة اجتماعية، وإحقاقاً للحقوق والتزاماً بالواجبات على أتم وجه وأكمل صورة، هذه الحضارة هي الحضارة الإسلامية التي عاصرت وتزامنت مع، عصور الظلمة المتمثلة في العصور الوسطى في أوروبا، ولكن للأسف فقد تم تجاهل تلك الفترة والتكبر لهذه الحضارة وكل ما قدمته للبشرية من تطوّر وتطبيق لنظريه العقد الاجتماعي.

والأسوأ من ذلك أن هذا التجاهل والتكبر ما كان إلا بقصد وسوء نية من قبل هؤلاء المنظرين<sup>(29)</sup> لنظرية العقد الاجتماعي، وهذا ليس بجديد ولا غريب عليهم، نظراً لما تمتلئ به أنفسهم من حقد وغيظ على هذه الحضارة وأتباعها، وقد بين القرآن الكريم في غير موضع مستوى هذا الحقد ودرجته، وهذه العداوة للحضارة الإسلامية وأتباعها من قبل الحضارات الأخرى<sup>(30)</sup>، وخير ما يدل على ذلك أن شهد شاهد من أهلها، حيث يُقرّ روبرت كراين المستشار السياسي للرئيس نيكسون بعد إسلامه فيقول بأن جذور مدرسة القانون الطبيعي الذي يتغنّى به الأوروبيون والأمريكان ما هو إلا نتاج المدرسة الإسلامية التي تؤمن بمبدأ الفطرة الإنسانية وهي سابقة على الفلسفة الأوروبية بأكثر من ألف عام<sup>(31)</sup>، حيث قال تعالى: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾<sup>(32)</sup>.

كما يؤكد على أن الدستور الأمريكي يحتوي بين مواده على مقولة الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً»<sup>(33)</sup>، لهذا جاء المبحث الثاني من هذه الدراسة لبيان دور هذه الحضارة الإسلامية في التأسيس لنظرية العقد الاجتماعي، وتطوير مفهومها على نحو يقوم على العدل والمساواة وتكافؤ الفرص، وذلك من خلال الموازنة بينهما كما سنرى في الآتي:

(29) مضواح بن محمد آل مضواح، مرجع سابق.

(30) المرجع السابق.

(31) منصور الجمري، الإسلاميون وحقوق الإنسان، صحيفة الوسط البحرينية، بتاريخ 2014/9/9م، الموقع الإلكتروني: <https://alwasatnews.com/919372html>، آخر زيارة بتاريخ: 2021/10/11.

(32) سورة الروم، الآية 30.

(33) عبد العزيز بن إبراهيم العمري، الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، ط1، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، 2001م.

## المبحث الثاني

### مدى توافق صحيفة المدينة المنورة

#### مع نظرية العقد الاجتماعي

بعد أن بيّنا في الجزء الأول من الدراسة أهم القضايا والمفردات ذات الصلة المباشرة بالبحث، سنقوم في المبحث الثاني بالموازنة بين صحيفة المدينة المنورة ونظرية العقد الاجتماعي من حيثيات وجوانب متعدّدة، نعرض لها في المطلبين التاليين:

المطلب الأول: صحيفة المدينة في ميزان نظرية العقد الاجتماعي

المطلب الثاني: مبدأ الاستخلاف في ميزان صحيفة المدينة ونظرية العقد الاجتماعي

### المطلب الأول

#### صحيفة المدينة في ميزان نظرية

#### العقد الاجتماعي

حتى تحقّق هذه الدراسة درجة من التوازن في الطرح وعدم التحيز لجانب دون الآخر، لا بد من إجراء موازنة بحثية عادلة للوقوف على ما حظيت به كلٌّ من نظرية العقد الاجتماعي وصحيفة المدينة المنورة من مساحات بحثية منصفة منذ صدور صحيفة المدينة إلى يومنا هذا، وهو ما سنعرض له حالاً في الفروع التالية:

### الفرع الأول

#### نصيب كل من الصحيفة والنظرية في الجانبين البحثي

#### والتنظيري ثم في الجانب التطبيقي

تهدف الدراسة في هذا الفرع إلى إجراء موازنة بين الصحيفة ونظرية العقد الاجتماعي. وعند تنفيذ هذه الموازنة من خلال تتبع ما ناله وحظي به كل منهما من بحث وتنظير، فإننا قطعاً سنجد أن الصحيفة قد همّشت وتمّ التنكّر لها من قبل المنظرين والمفكرين غير المسلمين، وكذلك من المفكرين والمنظرين المسلمين الذين انبهروا بالحضارة الغربية، في حين أنّ هؤلاء ركّزوا على دراسة وتأطير كل ما يتعلّق بنظرية العقد الاجتماعي ومن

جميع الجوانب، وتغنّوا بها وكأنّها المنقذ والمخلص لهم من كل المشاكل والعقبات. أمّا المنظرّون المفكّرون المسلمون المخلصون - وقليل ما هم - فقد قصّروا وبغير قصد - وعلى مرّ العصور - في إعطاء الصحيفة حقّها من البحث والدراسة، وخاصة في مجال الإسلام السياسي والسياسة الشرعية، وسبب ذلك يعود إلى اهتمامهم بالبيعة كنظام بديل يغيّهم عن الصحيفة وقد أخطأوا في ذلك<sup>(34)</sup>، مع أنّه لو احتكنا إلى الواقع التطبيقي سنجد العكس تماماً، حيث إنّ نظرية العقد الاجتماعي بقيت في إطارها التنظيري ولم تنزل إلى أرض الواقع والتطبيق العملي، والدليل أنّ معظم الانتقادات التي وُجّهت لها من قبل المنظرّين والمفكّرين الغربيين الذين أكدوا ذلك، أمّا صحيفة المدينة فقد تمّ تطبيقها على أرض الواقع وبشكل فوري بمجرد صدورهما، كما حققت أهدافها وبأسرع ما يمكن، حيث عمّ الاستقرار والأمن المجتمعي جميع أرجاء الدولة الإسلامية، وانطلقت لنشر رساله الإسلام في الآفاق.

وعند الموازنة بين الصحيفة ونظرية العقد الاجتماعي، فإننا نسلم بأنّ الصحيفة قد شكّلت جذراً تاريخياً لنظرية العقد الاجتماعي<sup>(35)</sup>، كيف لا وقد صدرت قبلها بحوالي عشرة قرون من الزمان، وما هذا القصور الذي نلاحظه في الجانب التطبيقي لنظرية العقد الاجتماعي إلاّ لأنّها لم تفد ولم تستفد من التجربة التاريخية التي طبّقت في هذا المجال (صحيفة المدينة)، حيث شكّلت دستوراً مدنياً مكتوباً للدولة الإسلامية وإعلان مبادئ لحقوق الإنسان لأول مرة في تاريخ البشرية.

## الفرع الثاني

### أساس العلاقة بين الحاكم ووعيته

#### كما تراها صحيفة المدينة ونظرية العقد

إنّ هذا الدستور المدني المكتوب الذي مثّله صحيفة المدينة ما هو إلاّ إعلان عالمي لحقوق الإنسان، بغضّ النظر عن معتقده أو عرقه أو جنسه أو توجهه الفكري أو ولائه السياسي (الأحزاب)؛ يؤطر لعلاقة قوية كفؤة متوازنة بين الحاكم والمحكوم، تحكمها القاعدة الفقهية التي تنص على أنّ: «تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة»، والشواهد على ذلك كثيرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر موقف الخليفة الراشد

(34) عبد العزيز محمد خلف، مرجع سابق، ص 2.

(35) خالد عليوي جباد، مرجع سابق، ص 3.

الخامس عمر بن عبدالعزيز رضي الله تعالى عنه وبعد أن بايعه أهل الحل والعقد، حيث قال للناس في أول خطبة له بعد المبايعة: «إني قد وليت عليكم دون طلبه مني وأرى بأنكم قد أبتليتُم بي، ولهذا فأني أخلع هذه البيعة من عنقي وأردها إليكم ... فيصبح الناس جميعاً وبصوت واحد قد بايعناك قد بايعناك»<sup>(36)</sup>.

وقد أشرنا سابقاً كيف طلب الخليفة الأول أبوبكر الصديق رضي الله تعالى عنه من الرعية أن تراقبه في أدائه وممارسته لأمر الحكم فقال لهم: «إن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني»، وها هو عمر الفاروق رضي الله تعالى عنه يقف أحد الصحابة يسأله ويحاسبه لماذا ثوب عمر أطول من ثياب بقية الصحابة، وكذلك قصة الخليفة الرابع علي رضي الله تعالى عنه مع خصمه اليهودي في مجلس القضاء أمام القاضي شريح؛ كل هذه الأدلة نسوقها للدلالة على أن صحيفة المدينة قد وضحت وبيّنت حدود العلاقة بين الحاكم والمحكوم بجلاء ووضوح تام؛ وأنها تقوم على أساس التعاقد بين طرفين متكافئين هما الرعية من جهة والحاكم من جهة أخرى، وأن على الرعية السمع والطاعة للحاكم، ما دام الحاكم ملتزماً بتدبير شؤون معاشهم وديناهم، ويحافظ على صون وحماية دينهم ومعتقداتهم، وأن جميع تصرفاته منوطة بتحقيق مصلحتهم المتمثلة بتحقيق العدل والمساواة وتكافؤ الفرص، والأخذ بمشورتهم فيما يحتاج إليه من رأي؛ وإلا فعزله واجب عليهم دون تردد وبأسرع ما يمكن.

ويرى الباحث أن هذه هي الصورة الحقيقية الواقعية للعلاقة المتكافئة التي تقوم بين طرفين متكافئين دون تسلط طرف على الطرف الآخر، كما هو حاصل في معظم أنظمة الحكم الاستبدادية التي أبتليت بها أغلب الشعوب هذه الأيام، والتي لا هم لها إلا نهب ثروات البلاد وقهر وتجويع العباد، مدعية بأنها تستمد شرعيتها في الحكم بالاستناد إلى نظرية العقد الاجتماعي، سواء تم ذلك من خلال انتخابات لا تخلو من التزوير والعبث، أو استفتاء شكلي لا قيمة حقيقية له على أرض الواقع، أو غيرها من الأساليب.

## المطلب الثاني

### مبدأ الاستخلاف في ميزان صحيفة المدينة

#### ونظرية العقد الاجتماعي

كان الهدف الأساسي من نظرية العقد الاجتماعي يتمثل في تحقيق درجة مقبولة من

(36) مجلة الوعي، السلطة السياسية في الفكر السياسي الغربي والإسلامي، العدد 28، سنة 1989م، ص4، منشور على الموقع التالي، <https://al-waie.org/archives/articales/11144>، زيارة بتاريخ 2021/10/11.

الاستقرار والأمن المجتمعيين للتفرغ بعد ذلك إلى بناء المجتمع وإعمار الأرض لتحقيق درجة من الرغد والرفاه، وهذا ما جاءت من أجله صحيفة المدينة المنورة، لا بل كان هدفها أبعد من ذلك لتنتقل إلى نشر العدل وتحرير المجتمعات المجاورة ممّا تعانين من ظلم واضطهاد، فهل حققت كلٌّ من نظرية العقد وصحيفة المدينة ما جاءت من أجله؟

سنعرض لكل هذا في ثنايا الفروع الآتية:

## الفرع الأول

### الجانب التنظيري لمبدأ الاستخلاف

#### في نظرية العقد وصحيفة المدينة

كما بيّنا في غير موضع من هذه الدراسة بأنّه قد نُظر إلى نظرية العقد الاجتماعي من قِبَل الفلاسفة والمنظرين والمفكرين على أن تكون وسيلة لتحقيق الاستقرار والأمن المجتمعي، وهذا لا يتأتى إلاّ بضمان واطمئنان جميع أفراد المجتمع على صون وحماية ممتلكاتهم والاحتفاظ بمكتسباتهم الخاصة، فضلاً عن حماية وصون الممتلكات العامة للمجتمع ككل، وهذا لن يحصل إلاّ بتفويض ممّن يملك هذا الوجود ابتداءً سبحانه وتعالى، لأنّ ملكية الأفراد لكل ما بأيديهم من الأموال والأعيان ليست ملكية أصيلة وإنما هي ملكية استخلاف؛ وبهذا يتم تأكيد مبدأ الاستخلاف الذي يُعدّ من أهم ما جاءت به الشريعة الإسلامية، وهو ليس للمسلمين فحسب، بل للناس كافة على اختلاف أديانهم وأعرافهم وتوجهاتهم، فالأصلح لعمارة الأرض هو الذي يُمكن له فيها ويُعطى الفرصة لإعمارها، من أجل تحقيق وتوفير ما هو نافع للناس والسعي لإسعادهم في معاشهم<sup>(37)</sup>.

وهذا ما أكدت عليه صحيفة المدينة، حيث أقرت لكل طائفة حقّهم في ما يملكون وكيف سينفقون على أنفسهم، من خلال تثمير أموالهم وصيانة حقوقهم ومكتسباتهم، بغضّ النظر عن دينهم أو توجههم الفكري أو أصلهم العرقي، وعليه تمّ تأسيس الدولة بالتوافق بين هذه المكونات المختلفة، كما سمحت لهم الوثيقة باستحداث أنظمة متعدّدة داخل الدولة الواحدة وفي كافة الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والدينية والفكرية، إعمالاً لقوله تعالى: ﴿لِكُرْدِيكُمْ وَلِي دِينٌ﴾<sup>(38)</sup>.

(37) محمد مجذوب محمد صالح، مرجع سابق، ص 15-16.

(38) سورة الكافرون، الآية 6.

فقد تمّ احتواء كل مكونات هذا المزيج المتباين ضمن إطار دولة عالمية إنسانية<sup>(39)</sup> واحدة وتحت مسمى (أمة واحدة)، أي منح حقّ المواطنة للجميع (أي جنسية الدولة)، كما أنّ الإسلام لم يحدّد شكل هذه الدولة، وتركه مفتوحاً يتغيّر بتغيّر الزمان والمكان؛ لأنّ لكل زمان أحواله وظروفه كما أنّ لكل مكان أحواله وظروفه، ولكنّه قيّد مضمون هذه الدولة وأساس بقائها واستمراريتها بتحقيق العدل والمساواة وتكافؤ الفرص بين مكونات هذا المزيج المتجانس للمجتمع البشري فيها، فلا يُحرم فرداً من التمتع بكل هذه الحقوق والامتيازات أو بعضها ما دام ملتزماً بالولاء والانتماء لهذا المجتمع ونظامه السياسي، وعدم تعاونه مع العدو ضدها<sup>(40)</sup>.

## الفرع الثاني

### الواقع التطبيقي لمبدأ الاستخلاف

#### في ظل صحيفة المدينة ونظرية العقد

إنّ صحيفة المدينة التي أكدت على مضامين مبدأ الاستخلاف، وأقرته لجميع الناس وليس للمسلمين فحسب، تؤكّد بذلك على قبول الآخر كما تؤسس لعيش واحد لا لعيش مشترك فحسب، كما أنّها لم تكتفِ بتثبيت ذلك نظرياً وتدوينه ضمن موادها؛ ولكنها سعت إلى تحقيق كل ما تقدّم على أرض الواقع فعلاً وتطبيقاً، وهذا ما لم يكن لنظرية العقد الاجتماعي أن تحقّقه، هذه النظرية التي ليس لها أساس على أرض الواقع أي في التطبيق العملي - رغم تاريخها النظيري الطويل - إلاّ بعض الصوّر المشوّهة لمخرجاتها من حيث الشكل والمظهر؛ أمّا من حيث المضمون والجوهر فهي تكرّس العنصرية والفرقة والطائفية، كما أنّها تبني مجتمعاتها الطفيلية على فناء وإبادة أو استعمار وتدمير المجتمعات الأخرى، وخير دليل على ذلك هذه الموجات الاستعمارية المحمومة في هذه الأيام بحجّتهم المكذوبة لمحاربة الإرهاب، والتي بها ومن خلالها دمّروا البلاد وأهلكوا العباد وسلبوا ثرواتهم واستولوا على مكتسباتهم، سواءً في أفريقيا أو في آسيا أو في غيرها عموماً وفي ديار المسلمين على وجه الخصوص.

(39) محمد عبد المحسن المقاطع، مرجع سابق.

(40) محمد مجذوب محمد صالح، مرجع سابق، ص17.

## المبحث الثالث

### دور صحيفة المدينة ونظرية العقد في إرساء قواعد الدولة

#### المدنية وتحقيق الأمن والاستقرار المجتمعي

سنبين في هذا المبحث أهم الأدوار التي اضطلعت بها صحيفة المدينة المنورة لوضع اللبنة الأساسية المتينة القادرة على التحضير لنشأة دولة مدنية متحضرة ذات مكونات بشرية متعددة الأعراق والمعتقدات والتوجهات تحتاج إلى مستوى لائق من الأمن والاستقرار والرفاه الاجتماعي، ومن أجل تحقيق ذلك تضمن هذا المبحث ثلاثة مطالب هي:

المطلب الأول: دور الصحيفة في صهر مكونات المجتمع المدني معاً (أمة واحدة) ضد أي تهديد خارجي

المطلب الثاني: دور الصحيفة في تطهير المجتمع المدني من أي طائفة تتكبر له وتُفرد خارج سربه

المطلب الثالث: دور نظرية العقد في صهر مكونات المجتمع لتحقيق الاستقرار والأمن المجتمعي

#### المطلب الأول

#### دور الصحيفة في صهر مكونات المجتمع المدني معاً

#### (أمة واحدة) ضد أي تهديد خارجي

تركز الحديث في المطالب السابقة من هذه الدراسة على الشأن الداخلي لمجتمع المدينة المنورة، وفي كافة مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية، وآلية فض الخصومات ومحو آثارها المستقبلية لعودة النفوس إلى سكينتها وبالقلوب إلى مودتها، سعياً إلى تحقيق الاستقرار والأمن المجتمعي الداخلي بين أطراف هذا المزيج المتعدد الأعراق والأديان، والعادات، والتقاليد، والثقافات.

ويأتي هذا المطلب لتغطية جانب مهم من حياة أي مجتمع مدني متحضر، يتمثل ذلك في علاقاته مع المحيط الخارجي له، هذا المحيط الذي ليس لأي مجتمع يد من الاحتكاك به والتعامل مع معطياته، إن لم يكن مختاراً فمجبوراً وإن لم يكن احتكاكاً إيجابياً تعاونياً



فسيكون احتكاكاً سلبياً تصادمياً، سيفضي إلى حالة من العداة والكراهية المترامية التي ستنتهي بنزاعات مسلحة، واقتتال دموي تقوده مكونات المجتمع الداخلي دفاعاً عن مكونهم الأم (الدولة) وحماية لممتلكاتهم ومكتسباتهم، في مواجهة هذا الخطر الخارجي المتمثل بأطياف المحيط الخارجي المتعددة الأهداف والتوجهات، منطلقاً من أسباب مختلفة؛ منها ما هو ديني، ومنها ما هو اقتصادي، ومنها ما هو انتقامي وثأري، ومنها ما هو استعماري وتسلطي.

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا السياق هو: هل كان للصحيفة دور في هذا المجال؟

من خلال جولة سريعة بين مواد وبنود هذه الصحيفة، نجد أنها سعت إلى ذلك، حيث قامت بتوجيه كل طاقات المجتمع للذود عن حدوده وحمائه، والأمر لم يكن سهلاً لأنه لدى مجتمع المدينة المنورة كتل بشرية ذات أطياف مختلفة عقدياً واقتصادياً واجتماعياً ومذهبياً وثقافياً، لذلك فالأمر لم يكن بهذه السهولة ولكن بحكمة وحسن إدارة الحبيب صلى الله عليه وسلم جعلته يعتمد إلى الإعلان على أن كل هذا الاختلاف والتعدد هو عبارة عن مكسب وفرصة لا بد من استثمارها واستغلالها في الدفاع عن جمل هذا المجتمع وحدوده<sup>(41)</sup>؛ وذلك من خلال صهر هذا المزيج في مكون واحد وهو الأمة (حق المواطنة)، حيث تمت الإشارة إلى أن جميع من يعيشون على تراب المدينة بغض النظر عن معتقداتهم وثقافاتهم وتوجهاتهم ما هم إلا أمة واحدة (منح الجنسية للجميع)<sup>(42)</sup>.

وبالتالي فهم يد واحدة ضد كل من تسول له نفسه الاعتداء على أمن وحدود هذه الدولة (مجتمع المدينة المنورة المتجانس)، وبهذا الطرح يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد كرّس وأكد على مفهوم العيش الواحد لا العيش المشترك فحسب، لأن مصير الجميع واحد، فإما أن يتعاونوا جميعاً لحماية أنفسهم وممتلكاتهم ومكتسباتهم من أي تهديد خارجي، فيحيوا حياة كريمة، وإما أن يختلفوا ويتناحروا فتضعف شوكتهم ويصبحوا هدفاً سهلاً لأي متربص خارجي يدبر لهم المكائد، فيستولي على ممتلكاتهم، وينهب مكتسباتهم، ويقتل ذويهم وذريتهم، فيكتب عليهم التشرد والتشرذم ويحيوا حياة تعاسة وشقاء وعناء<sup>(43)</sup>.

(41) عبد الحميد محمود البعلي، مرجع سابق، ص 282-284.

(42) عبد العزيز محمد خلف، مرجع سابق، ص 6.

(43) أبو بكر علي مصطفى جلال الدين، مرجع سابق.

## المطلب الثاني

### دور الصحيفة في تطهير المجتمع المدني من أي طائفة تتنكر له وتغرد خارج سربه

لا بد لأي مشروع جديد أو فكر مستحدث من وجود قوى شدٌ عكسي هدفها إعاقته، أو محاولة إفشاله لما يشكّله من خطر على مكتسباتها السابقة، وهذا ما حصل مع فكرة إنشاء الدولة الإسلامية الحديثة في المدينة المنورة، حيث تسابق المتضررون منها للحفاظ على مكتسباتهم السابقة في ظل اللادولة، ولكن كانت لهم صحيفة المدينة بالمرصاد، حيث حصّنت مجتمع المدينة من ذلك بدقة وحصافة بفضل صياغتها وشمول مضمونها، إذ تنبّهت لكل ذلك مسبقاً ولم تغفله، وهذا ما ستبحثه هذه الدراسة في الفروع الآتية:

## الفرع الأول

### الصحيفة توفر للفرد كل متطلبات الحياة الكريمة

#### قبل تكليفه بواجباته الاجتماعية

إن الناظر بعين فاحصة ومن خلال جولة سريعة بين ثنايا مطالب هذه الدراسة، يجد أنّ صحيفة المدينة المنورة قد شكّلت بالفعل جذراً تاريخياً راسخاً في مجال تداول السلطة والتنظيم الاجتماعي للعلاقة بين الفئات المختلفة ومكوّنات المجتمع المتعدّدة، ثم بينها وبين من يتولّى الأمر أياً كان مسمّاه<sup>(44)</sup>، كما تبين لنا أنّ نظرية العقد الاجتماعي في جانبها التطبيقي لم ترتقِ إلى مستوى التطبيق الذي حصل لصحيفة المدينة، وذلك بشهادة منظرّي ومفكرّي نظرية العقد الاجتماعي من خلال ما وجهوه لها من انتقادات بالرغم من زخم التنظير الذي حظيت به نظرية العقد الاجتماعي من قبلهم.

ومع كل ما تقدّم فإنّ صحيفة المدينة قدّمت لأفراد المجتمع المدني آنذاك كل أشكال الدعم الوجودي الذي يساعدهم على بناء مجتمعهم وتقدّمه وازدهاره، فمنحتهم الاستقلال المالي والاقتصادي والثقافي والاجتماعي والديني والمذهبي والطائفي، كما أبقّت على عاداتهم وتقاليدهم رغم اختلافهم في الأصل والمعتقد والثقافة والفكر والتوجّه، وفوق كل ذلك منحتهم حقّ المواطنة (الجنسية)<sup>(45)</sup>.

(44) راغب السرجاني، مرجع سابق.

(45) عبدالله بن علي العليان، في مسألة الدولة والتجربة التاريخية، صحيفة الشرق، بتاريخ 2015/5/10م، متاح على الموقع الإلكتروني: <https://al-sharq.com/opinion/writea/12>، آخر زيارة بتاريخ: 2021/10/11.

## الفرع الثاني

### الصحيفة تُحصن المجتمع من تخاذل

#### المتآمرين ومكرهم

حتى تكتمل الصورة بوضوح، ويؤدي هذا الدعم الوجودي أكله على أتم وجه، ولكي لا يحدث ما لا يُحمد عقباه ويبدأ الوهن يدب في أركان هذا المجتمع الحديث من قبل المغرضين والمتآمرين وضعاف النفوس وأصحاب الأجنداث الخارجية والولاءات الخفية، اشترطت عليهم الصحيفة عدم التعاون مع العدو الخارجي المحيط بالمدينة من كل اتجاه، كما اشترطت عليهم أن يكونوا يداً واحدةً في مواجهة أي تهديد خارجي محتمل<sup>(46)</sup>، وأن من يخرج عن مضمون وفحوى هذه الاشتراطات يُعرض نفسه وأهل بيته للحساب والعقاب، الذي يتناسب مع جُرمه.

وقد يصل هذا العقاب للقتل أو النفي أو غيرهما من العقوبات التي ترتقي لمستوى هذه الأفعال التي تُعد من قبيل جريمة الخيانة العظمى، لأنها تُعدّ تكراراً لكل الحقوق والامتيازات التي منحتم إياها الصحيفة، وجحوداً بالنعمة التي يرقل بها جميع أفراد المجتمع، وتغريداً خارج نطاق السرب، ورغبة في الانضمام إلى صفوف الأعداء ضد الأمة الموحدة المجتمعة المتآلفة، وجنوح إلى النخر بعضد هذا المجتمع لوهنه والعمل على هدمه إن استطاع لتحقيق مكاسب شخصية ضيقة أو إرواء غليل وحقد دفين<sup>(47)</sup>.

وما أن مضت سنوات معدودة على نشأة هذا المجتمع المدني حتى تكالب عليه الأعداء من كل حذب وصوب، تتقدمهم قريش رأس الكفر آنذاك والمتمثل بالمجتمع المكي، وكل من استطاعوا تأليبهم من قبائل العرب وغيرهم، وسُمّي هذا التحالف ضد المسلمين بالأحزاب، فحاصروا المدينة من كل الجهات حتى ضاقت السُّبل بأهل المدينة واشتد الحصار، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وكاد الوهن أن يدخل إلى نفوس بعضهم، ممّا حدا باليهود إلى نقض عهدهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم وأهل المدينة، وتحالفوا مع الأعداء وخانوا ميثاق صحيفة المدينة والاشتراطات التي تحويها رغم شدة العقوبات التي تنتظر من يخون.

وقد اعتقد اليهود بأنّ هذه المعركة ستكون نهاية الدولة الإسلامية، لهول ما رأوه من

(46) بركات الزيود، مرجع سابق.

(47) أبو بكر علي مصطفى جلال الدين، مرجع سابق.

التجهيزات والتحصينات التي قام العدو بإعدادها، ولم يعلموا بأنَّ الله تعالى غالب على أمره وأنَّ العاقبة للمتقين، وعندما أتى أمر الله تعالى وهُزم الأحزاب شرَّ هزيمة، كان لابد من تطبيق وتنفيذ القانون والحكم العادل في حقِّ كل من خان العهود ونقض المواثيق، حيث تمت محاصرة اليهود في حصونهم وقلاعهم حتى استسلموا، فمنهم من تمَّ إجلاؤه عن المدينة من غير عودة أبداً؛ ومنهم من أنزلت به عقوبة القتل؛ كل بحسب درجه خيانتة وتآمره مع العدو<sup>(48)</sup>.

### المطلب الثالث

## دور نظرية العقد في صهر مكونات المجتمع

### لتحقيق الاستقرار والأمن المجتمعي

لا يمكن تحقيق الاستقرار والأمن المجتمعيين إلا من خلال جمع كافة القوى والطاقات تحت قواسم مشتركة من التفاهمات وغيض الطرف عن تلك الجزئيات التي تغذي الفرقة والتشردم والطائفية. فهل تمكنت نظرية العقد الاجتماعي من لَمَّ شمل هذا الشتات عبر التاريخ الإنساني؟ وهل شهد لها أتباعها بذلك كالذي حققته صحيفة المدينة المنورة؟ وهذا ما سيتم بحثه فيما تبقى من مساحة بحثية لهذه الدراسة من خلال الفروع التالية:

### الفرع الأول

## نظرية العقد الاجتماعي

### تحت المجهر الغربي

كما بيَّنا سابقاً حيث طرح توماس هوبز توجهه لتأسيس نظرية العقد الاجتماعي، على افتراض أنه كانت هناك صراعات دائمة ونزاعات محتدمة بين الكتل البشرية وعلى أكثر من صعيد، وسبب ذلك حسب رأيه يعود إلى عدم وجود هيكل مجتمعي منظم يسوده النظام والأمن والاستقرار، وتحكمه القوانين الضابطة لتصرفات جميع الأطراف، بحيث يعرف كل طرف ما له من حقوق وما عليه من واجبات والتزامات، هذا بالإضافة إلى وجود رأس لهرم هذا النظام (الحاكم)، تلجأ إليه مكونات هذا المزيج المجتمعي في حال اختلافهم على شأن ما ليفصل بينهم، لكي لا يرجعوا إلى الصراع والعنف لحل مثل هذه القضايا المختلف فيها وعليها.

(48) أبو بكر علي مصطفى جلال الدين، مرجع سابق.

إذاً بناءً على توجّه هوبز، فقد كان الهدف الأسمى لنظرية العقد الاجتماعي هو تحقيق الاستقرار والأمن المجتمعي؛ فهل بالفعل حَقَّقَت نظرية العقد الاجتماعي هذا الهدف الأساسي الذي وجدت من أجله؟

من خلال جولة بسيطة وسريعة في بطون المراجع والمصادر ذات الصلة، يتبيّن للباحث أنّ هناك انتقادات جمة وُجِّهت لهذه النظرية من قبل المُنظِّرين والمُفكرين الغربيين والشرقيين المنادين بها حيث كان من أهمها:

« ما يأتي.....

1. إنّها نظرية افتراضية غير حقيقية لا سند لها في التاريخ.
2. إنّ فكرة حالة الفطرة الأولى بعيدة عن الصواب وغير منطقية.
3. النظرية ككل غير منطقية لأنّ الحقوق لا تُصان إلاّ بالقوة والقانون.
4. النظرية مستحيلة لأنّها تستوجب قانوناً واجب التنفيذ يحمي الحقوق، وهذا ينافي فكرة الفطرة الأولى.
5. نظرية العقد تتطوي على آراء خطيرة على الدولة وكيانها لأنّها تعطي للشعب الحقّ المطلق بالثورة، وهذا يعيدنا إلى فكرة النزاع وصدام، أي إلى عهد ما قبل نظرية العقد الاجتماعي<sup>(49)</sup>.

## الفرع الثاني

### نظرية العقد الاجتماعي ومنظومة الأمن

#### والاستقرار المجتمعيين

بالاعتماد على المثال التأشيرى لا الحصري للانتقادات التي وُجِّهت لنظرية العقد الاجتماعي - وهذا فيض من غيض - فإنّه يستحيل على هذه النظرية أن تُحقّق الاستقرار والأمن المجتمعي، لهذا فهي عاجزة عن تحقيق الهدف الأساسي الذي وُضعت من أجله، لأنّ تداول السلطة والحكم في أي مجتمع لا يتعدّى ثلاث صوّر هي: الأولى: الحكم الدكتاتوري، وهذه الصورة خارج نطاق وتوجّه نظرية العقد الاجتماعي ولا مجال لبحثها والخوض فيها، بغضّ النظر عن الطريقة أو الأسلوب الذي جاء به الدكتاتور للحكم، جمهورياً كان أم ملكياً أم غيره من الصوّر.

(49) نبأ نزار الربيعي، مرجع سابق.

والصورة الثانية: هي الملكية النيابية أو البرلمانية كما في بريطانيا، فالحاكم فيها لا يحكم وصلحياته محدودة جداً، وما هو إلا رمز اعتباري فقط، وعليه فهو لا يستطيع أن يخدم أو أن يقدم شيئاً للرعية لأنَّ فاقد الشيء لا يعطيه. وأمَّا الصورة الثالثة: فهي النمط الجمهوري الذي يتمُّ تداول السلطة فيه بالانتخابات المباشرة أو غير المباشرة، وهذا النمط لا علاقة له بنظرية العقد الاجتماعي لأنَّ نتائج الانتخابات لا تعبّر عن رضا جميع الناس كما تفترض النظرية، فالفائز (الحاكم) لا يمثّل أكثر من 51% في المجتمع في أحسن الظروف، وتبقى الأقلية غير راضية عن الفائز، ولا تقبل بحكمه، وتسعى جاهدة لإزاحته أو إفساله، وهذا يناقض نظرية العقد الاجتماعي<sup>(50)</sup>.

لهذا يرى الباحث أنّ نظرية العقد الاجتماعي لم تقم بالدور المأمول منها في تحقيق الاستقرار والأمن المجتمعي لأنها لم تطبّق على أرض الواقع بالصورة التي نُظِر لها، وفي المقابل وكما ذكرنا سابقاً وفي غير موضع من هذه الدراسة فإنَّ صحيفة المدينة المنورة قد حقّقت هذا الهدف وبكفاءة؛ ودليل ذلك أنّ مجتمع المدينة المنورة - رغم كل ما كان من تشرذم وفرقة واقتتال - وبعد فترة وجيزة جداً من تشكّله، انطلق في جميع أنحاء المعمورة لينشر رسالته الخالدة التي كلّف بها من الله تعالى، وما كان له أن يحقّق ذلك دون تأمين الأمن والاستقرار المجتمعي الداخلي أولاً.

ويمكن ضرب بعض الأمثلة في هذا السياق من خلال تحقيق مبدأ الفصل بين السلطات<sup>(51)</sup> في مجتمع المدينة المنورة، فهي هو الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه يطلب من الرعية باعتبارها المصدر الأساسي للسلطة أن تُراقبه كوال، فقال لهم إن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني، وكذلك نرى الخليفة الرابع علي رضي الله عنه يمثّل أمام القضاء في خصومة مع يهودي أمام القاضي شريح، وبعد الاطلاع والتحقّق والتدقيق حكم القاضي لمصلحة اليهودي ضد رأس الدولة (الحاكم) في ذلك الزمان<sup>(52)</sup>.

وكذلك نقول لكل من لديه مطالب جوفاء وفارغة، حيث ينادي بدولة علمانية في ديار المسلمين أي فصل الدين عن الدولة، نقول له وهل هناك تماس أو توحد بين المسجد

(50) مجلة دعوة الحق، نظرية العقد الاجتماعي بين التفكير الغربي والشريعة الإسلامية، وزارة الأوقاف المغربية، العدد 87 سنة 2017م، ص3، متاح على الموقع الإلكتروني التالي:  
https://www.habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/2017. آخر زيارة بتاريخ: 2021/10/11.

(51) محمد عبد المحسن المقاطع، مرجع سابق

(52) إبراهيم بن موسى الشاطبي، الموافقات، ج4، ط1، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دارا بن عفان للطباعة، القاهرة، 1997م، ص40.

والمؤسسة الدينية وبين سدّة الحكم في ديار الإسلام حتى تنادي بالفصل بينهما، كما هو حال الكنيسة لما تدخّلت بالحكم وحكمت أوروبا فظلمت واستبدّت، فطالب المجتمع آنذاك بتخليها عن ساحة الحكم وفصل الدين عن الدولة (العلمانية) فهم لديهم أسبابهم ووجاهة مطالبهم، فهل حصل في ديار الإسلام وفي أي يوم بأن تدخل المسجد بالحكم؟ هل سيطر المسجد والمؤسسة الدينية يوماً ما على الحكم ومارس الظلم والاستبداد في حقّ الرعية حتى تطالبوا بتخليته وفصل سيطرته عن الدولة؟

نحن مجتمع أنقى وأطهر من هذه الترهات ومن هذه المطالب الجوفاء؛ التي لا تعكس إلاّ جهلاً وسذاجة من ينادون بها وما هم إلاّ أبواق ناعقة بالنيابة عن أعداء هذه الأمة الأبية<sup>(53)</sup>، وبناءً على كل ما تقدّم يمكننا القول بأنّ صحيفة المدينة المنورة شكّلت جذراً تاريخياً متيناً لنظرية العقد الاجتماعي؛ إلاّ أنّ الفلاسفة والمنظرين والمفكرين لهذه النظرية تجاهلوا هذا الجذر المهم وتكرّروا له بقصد وسوء نية، ولم يعطوه حقّه من الدراسة والبحث والتطبيق والبناء عليه؛ فكان نتاج ذلك الحتمي هو فشل النظرية في مجال التطبيق الواقعي وعجزها عن القيام بدورها لإنجاز هدفها الأساسي المتمثّل في تحقيق الاستقرار والأمن المجتمعي<sup>(54)</sup>.

(53) مجلة دعوة الحق، نظرية العقد الاجتماعي بين التفكير الغربي والشريعة الإسلامية، مرجع سابق، ص 8.

(54) مضواح بن محمد آل مضواح، مرجع سابق.

## الخاتمة:

بعد ما تمّ مناقشته بشأن دور صحيفة المدينة المنورة كأساس للعقد الاجتماعي والدولة المدنية في الإسلام انتهينا إلى نتائج وتوصيات عدة نعرض لها على النحو التالي:

### أولاً: النتائج

1. مهّدت البيعة كهيئة تأسيسية لإصدار صحيفة المدينة المنورة مع ضرورة التفرقة بينهما، فالبيعة عقد سياسي ديني يُفضي إلى اختيار الحاكم، أمّا الصحيفة فهي عقد اجتماعي مدني بامتياز يُحدّد العلاقة بين الحاكم والرعية.
2. إنّ الحضارة الإسلامية متجدّرة ومتأصّلة في تطبيق نظرية العقد الاجتماعي، وليست دخيلة عليها، وإنّ الإسلام أول من طبّق مبدأ الفصل بين السلطات ودعا إلى تطبيقه، وهذا ما تضمّنته الصحيفة كأول دستور مدني مكتوب يشتمل على إعلان لحقوق الإنسان.
3. لم تتكرّر الصحيفة للتعددية بمختلف صورها، لا بل استثمرتها واستفادت منها، فنقلت البشرية من مفهوم الدولة السياسي الضيق إلى مفهوم الدولة العالمية الإنسانية، وأعطت حقّ المواطنة (الجنسية) للجميع وسمّتهم (أمة واحدة) رغم التعدّد والاختلاف.
4. التأكيد على مبدأ الاستخلاف في عمارة الأرض للناس كافة، وأنّ الأصلح لعمارتها في كل زمان يُمكن، ولم تُحدّد الصحيفة شكل الدولة، وإنّما حدّد مضمونها بالعدل والمساواة وتكافؤ الفرص، كما سمحت الصحيفة باستحداث أنظمة مستقلة ضمن إطار الدولة والواحدة.
5. أكد روبرت كراين تعمّد الفلاسفة والمنظرين والمفكرين الغربيين تجاهل وتغيب منجزات الحضارة الإسلامية وخاصة (الصحيفة)، ممّا ترتّب عليه فشل نظرية العقد الاجتماعي في تحقيق الاستقرار والأمن المجتمعي بسبب تجاهل وتهميش جذرها الأساسي.
6. ليس في الإسلام سلطة دينية حاكمة كما فعلت الكنيسة في أوروبا، فثار عليها الشعب وطالب بـ (العلمانية) أي فصل الدين عن الدولة. فما هو الداعي للمطالبة الجوفاء بالعلمانية في الدول الإسلامية ما دام المسجد والمؤسسة الدينية لا تمارس الحكم مطلقاً؟!



7. اشترطت الصحيفة على المواطنين في المدينة - وبعد كل ما أعطتهم إياه من امتيازات - الدفاع عنها والدود عن حماها، ومنعهم من التعاون مع العدو، وبسبب خيانة اليهود ميثاق المدينة تمّ طردهم وإخراجهم منها.

### ثانياً: التوصيات

1. إطلاق حملة إعلامية تعريفية تسلط الضوء على الصحيفة وكل ما يتعلق بها مثل البيعة والمؤاخاة.
2. تخصيص واحد من مؤتمرات كلية القانون الكويتية العالمية المستقبلية وعلى مستوى دولي لدراسة صحيفة المدينة المنورة من كافة جوانبها السياسية والاقتصادية والقانونية والثقافية والدينية والاجتماعية
3. تشكيل لجنة تنبثق عن المؤتمر أعلاه لصياغة مسودة إعلان لحقوق الإنسان كما تراه وتؤسس له الصحيفة.
4. توجيه طلبة الدراسات العليا في الكلية لكتابة سلسلة من الرسائل الجامعية تغطي الصحيفة من كافة جوانبها سألفة الذكر

ملحق - نصُّ الصحيفة<sup>(55)</sup>

وردت وثيقة المدينة في عدة مصادر، تنوّعت بين من ساقها بطولها كابن إسحاق، ومن اقتصر على مقاطع منها، ونورد هنا سياقة ابن إسحاق لها لأنّه ذكرها كاملةً، قال ابن إسحاق: (وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً بين المهاجرين والأنصار، وأدع فيه يهوداً وعاهدهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم واشترط عليهم: بسم الله الرحمن الرحيم

1. هذا كتاب من محمد النبيّ - صلى الله عليه وسلم - بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم، فلحق بهم وجاهد معهم: إنهم أمة واحدة من دون الناس.
2. المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم، وهم يفتدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين.
3. وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، كل طائفة تفتدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.
4. وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفتدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.
5. وبنو الحارث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفتدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.
6. وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفتدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.
7. وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفتدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.
8. وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفتدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.
9. وبنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفتدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.
10. وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفتدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

(55) عبد العزيز محمد خلف، مرجع سابق، ص 5-2.

11. وإن المؤمنين لا يتركون مفرحاً بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل.
12. وألا يحالف مؤمنٌ مولى مؤمنٍ دونه.
13. وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم، أو ابتغى دسيعة ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين، وإن أيديهم عليه جميعاً، ولو كان ولدٌ أحدهم.
14. ولا يقتل مؤمنٌ مؤمناً في كافر.
15. ولا ينصر كافرٌ على مؤمنٍ.
16. وإن ذمة الله واحدةٌ، يجير عليهم أدناهم.
17. وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس.
18. وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم.
19. وإن سلمَ المؤمنين واحدةٌ، لا يسألَم مؤمنٌ دون مؤمنٍ في قتالٍ في سبيل الله إلا على سواءٍ وعدلٍ بينهم.
20. وإن كل غازيةٍ غزت معنا يعقب بعضها بعضاً.
21. وإن المؤمنين يبيء بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله.
22. وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه.
23. وإنه لا يجير مشركٌ مالاً لقريش ولا نفساً، ولا يحول دونه على مؤمنٍ.
24. وإنه من اعتبط مؤمناً قتلاً عن بينة فإنه قود به إلا أن يرضى ولي المقتول.
25. وإن المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم إلا قيامٌ عليه.
26. وإنه لا يحل لمؤمن أقرُّ بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر مُحدثاً ولا يؤويه، وأنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرفٌ ولا عدلٌ.
27. وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيءٍ فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد صلى الله عليه وسلم.
28. وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.
29. وإن يهود بني عوف أمةٌ مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته.

30. وإن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف.
31. وإن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف.
32. وإن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف.
33. وإن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف.
34. وإن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف.
35. وإن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته.
36. وإن جفنة بطنٌ من ثعلبة كأنفسهم.
37. وإن لبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف.
38. وإن البر دون الإثم.
39. وإن موالي ثعلبة كأنفسهم.
40. وإن بطانة يهود كأنفسهم.
41. وإنه لا يخرج منهم أحدٌ إلا بإذن محمد صلى الله عليه وسلم.
42. وإنه لا ينحجز على ثأر جرح.
43. وإنه من قَتَكَ فبنفسه قَتَكَ وأهل بيته، إلا من ظلم، وإن الله على أبر هذا.
44. وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم.
45. وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة.
46. وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم.
47. وإنه لم يَأْثَمُ امرؤٌ بحليفه.
48. وإن النصر للمظلوم.
49. وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.
50. وإن يثرب حرامٌ جوفها لأهل هذه الصحيفة.
51. وإن الجار كالثمن غير مضار ولا آثم.

52. وإنه لا تُجَارُ حرمة إلا بإذن أهلها.
53. وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فسادة، فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.
54. وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره.
55. وإنه لا تُجَارُ قريش ولا من نصرها.
56. وإن بينهم النصر على من دهم يثرب.
57. وإذا دعوا إلى صلح يصلحونهم ويلبسونه فإنهم يصلحونهم ويلبسونه، وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين، إلا من حارب في الدين، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم.
58. وإن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة، مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة.
59. وإن البر دون الإثم، لا يكسب كاسب إلا على نفسه.
60. وإن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره.
61. وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وأثم.
62. وإنه من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم أو أثم.
63. وإن الله جار لمن بر واتقى، ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

## قائمة المراجع:

- إبراهيم بن موسى الشاطبي، الموافقات، ج4، ط1، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار بن عفان للطباعة، القاهرة، 1997م.
- بلال عقل الصنديد، من العقد الاجتماعي إلى العقل الاجتماعي، صحيفة الجريدة الكويتية، عدد بتاريخ 2021/3/28، منشور على الموقع الإلكتروني: <https://aljarida.com/articales/161857422816190500>.
- بركات الزبيد، دستور المدينة المنورة أول وثيقة قانونية وضعها النبي ﷺ قبل 14 قرناً، صحيفة الدستور الأردنية، عدد بتاريخ 2020/10/30م، الموقع الإلكتروني: <https://addustour.com/articales/1179827>.
- ولد الزين ولد الإمام، وثيقة المدينة المنورة كأول وثيقة تؤسس لحقوق الإنسان، الموقع الإلكتروني (موريتانيا المعلومة)، بتاريخ 2017/12/10م، <https://mauiactu.info/ar/articales>.
- مجلة دعوة الحق، نظرية العقد الاجتماعي بين التفكير الغربي والشريعة الإسلامية، وزارة الأوقاف المغربية، العدد 87، سنة 2017م، متاح على الموقع الإلكتروني التالي: <https://www.habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/2017>.
- مجلة الوعي، السلطة السياسية في الفكر السياسي الغربي والإسلامي، العدد 28، سنة 1989، متاح على الموقع الإلكتروني: <https://al-waie.org/archives/articales/11144>.
- مجموعة مؤلفين، وثيقة المدينة - دراسات في التأسيس الدستوري للإسلام، مركز دراسات الكوفة، جامعة الكوفة، مكتبة مؤمن قريش، بيروت، 2014.
- محمد مجذوب محمد صالح، وثيقة المدينة بين مبدأ المواطنة وأصل الاستخلاف، مجلة الجزيرة (تفكير)، مجلد 18، العدد 2، السنة 2018م، متاح على الموقع الإلكتروني: <https://journals.uofg.edu.sd/index.php/ftkrarticalview12431322.pdf>.
- منصور الجمري، الإسلاميون وحقوق الإنسان، صحيفة الوسط البحرينية، بتاريخ 2014/9/9م، متاح على الموقع الإلكتروني: <https://alwasatnews.com/919372html>.

- محمد عبد الجابري، العقد الاجتماعي «وعقد البيعة» وتغييب صحيفة النبي ﷺ، صحيفة الاتحاد الإماراتية، بتاريخ 2004/10/25م، منشور على الموقع الإلكتروني: <https://alittihad.ae/wejhatarticales/7686>.
- محمد عبد المحسن المقاطع، دولة المدينة المنورة دولة الإسلام النموذج، صحيفة الجريدة الكويتية، عدد بتاريخ 19/6/2019م، منشور على الموقع الإلكتروني: <https://aljarida.com/articales/print/15608770312780180000>.
- مضواح بن محمد آل مضواح، العقد الاجتماعي بين الإسلام وفلسفات البشر، مقال منشور على الموقع الإلكتروني التالي بتاريخ 2011/4/5 <https://ar-ar.facebook.com/notes/183522548359605>.
- نبأ نزار الربيعي، نظرية العقد الاجتماعي، منشور على الموقع الإلكتروني لكلية القانون، جامعة بابل، العراق، بتاريخ 2015/1/29م: <https://uobabylon.edu.iq/uobcoleges/service-showrest.aspx?fid=6289>.
- عبد الحميد محمود البعلي، المدخل لدراسة الشريعة والفقہ الإسلامي، ط 5، منشورات كلية القانون الكويتية العالمية، دولة الكويت، 2019م.
- عبدالله بن علي العليان، في مسألة الدولة والتجربة التاريخية، صحيفة الشرق، بتاريخ 2015/5/10م، منشور على الموقع الإلكتروني: <https://al-sharq.com/opinion/writea/12>.
- عبد العزيز بن إبراهيم العمري، الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين، ط1، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، 2001م.
- عبد العزيز محمد الخلف، وثيقة المدينة المنورة ودورها في إرساء المواطنة، مجلة مقاربات، المجلس الإسلامي السوري، منشور على الموقع الإلكتروني التالي: <https://sy-sic.com/?p=7777>.
- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، م2، ط2، تحقيق: علي عبدالواحد وافي، لجنة البيان العربي، القاهرة، د.ت.
- أبوبكر علي مصطفى جلال الدين، مقومات المجتمع المدني في الإسلام من خلال صحيفة المدينة (1هـ-11هـ)، مركز المجدد للبحوث والدراسات، إسطنبول، بتاريخ 27/3/2020م، منشور على الموقع الإلكتروني: <https://almojaded.com/2020/03/27/>.

- صباح كريم رياح الفتلاوي، نظرية الحقّ الإلهي والعقد الاجتماعي، مجلة مركز دراسات جامعة الكوفة، العراق، العدد 10، منشور على موقع دار المنظومة، سنة 2011م : <https://mandumah.com/record/233823>.
- راغب السرجاني، وثيقة المدينة ... النموذج الأمثل للتعايش، منشور على الموقع الإلكتروني قصة الإسلام، بتاريخ 11/3/2018م، منشور على الرابط التالي: <https://islamstory.com/articales/3408344>.
- شرف الدين عبد الحميد أمين، النشأة التعاقدية لدولة الرسول وتأسيس الوحدة الوطنية، منشور على الموقع التالي: <https://mominoun.com/articales/5077>.
- خالد عليوي جيا، حقوق الآخر في ضوء وثيقة المدينة المنورة: تأصيل إسلامي لمبدأ التعايش، مجلة رسالة الحقوق، كلية القانون، جامعة كربلاء، العراق، السنة 4، العدد 2، سنة 2012م، منشور على الموقع الإلكتروني: <https://law.uokerbala.iq/wp/blog/2013/01/31/no-2-2012>



## المحتوى:

الصفحة	الموضوع
117	الملخص
119	المقدمة
124	المبحث الأول: التعريف بمفردات الدراسة وجذورها التاريخية
124	المطلب الأول: مفهوم نظام البيعة في الإسلام كهيئة تأسيسية لصحيفة المدينة المنورة
124	الفرع الأول: حال المجتمع الأوروبي قبيل التحضير لصياغة صحيفة المدينة المنورة
125	الفرع الثاني: البيعة الأولى والثانية كتأسيس أولي لصياغة صحيفة المدينة
127	الفرع الثالث: المؤاخاة كنموذج للتكافل والتضامن والتأمين الاجتماعي بين فئات المجتمع المسلم
128	المطلب الثاني: مفهوم الآخر والعيش المشترك لدى الحضارة الإنسانية
128	الفرع الأول: مكونات المجتمع المدني كنموذج للتعددية بمختلف صورها
129	الفرع الثاني: استثمار صور التعددية والاختلاف كعوامل بناء اقتصادي واجتماعي وثقافي
131	المطلب الثالث: البدايات النظرية والتطبيقية لنظرية العقد الاجتماعي والمفهوم الفلسفي لها
132	الفرع الأول: البدايات النظرية والتطبيقية لنظرية العقد الاجتماعي
133	الفرع الثاني: المفهوم الفلسفي لنظرية العقد الاجتماعي
135	المبحث الثاني: مدى توافق صحيفة المدينة المنورة مع نظرية العقد الاجتماعي
135	المطلب الأول: صحيفة المدينة في ميزان نظرية العقد الاجتماعي
135	الفرع الأول: نصيب كل من الصحيفة والنظرية في الجانبين البحثي والتنظيري ثم في الجانب التطبيقي

الصفحة	الموضوع
136	الفرع الثاني: أساس العلاقة بين الحاكم ورعيته كما تراها صحيفة المدينة ونظرية العقد
137	المطلب الثاني: مبدأ الاستخلاف في ميزان صحيفة المدينة ونظرية العقد الاجتماعي
138	الفرع الأول: الجانب التنظيري لمبدأ الاستخلاف في نظرية العقد وصحيفة المدينة
139	الفرع الثاني: الواقع التطبيقي لمبدأ الاستخلاف في ظل صحيفة المدينة ونظرية العقد
140	المبحث الثالث: دور صحيفة المدينة ونظرية العقد في إرساء قواعد الدولة المدنية وتحقيق الأمن والاستقرار المجتمعي
140	المطلب الأول: دور الصحيفة في صهر مكونات المجتمع المدني معاً (أمة واحدة) ضد أي تهديد خارجي
142	المطلب الثاني: دور الصحيفة في تطهير المجتمع المدني من أي طائفة تتكبر له وتغرد خارج سربه
142	الفرع الأول: الصحيفة توفر للفرد كل متطلبات الحياة الكريمة قبل تكليفه بواجباته الاجتماعية
143	الفرع الثاني: الصحيفة تُحصن المجتمع من تخاذل المتأمرين ومكرهم
144	المطلب الثالث: دور نظرية العقد في صهر مكونات المجتمع لتحقيق الاستقرار والأمن المجتمعي
144	الفرع الأول: نظرية العقد الاجتماعي تحت المجهر الغربي
145	الفرع الثاني: نظرية العقد الاجتماعي ومنظومة الأمن والاستقرار المجتمعي
148	الخاتمة
150	ملحق - نص صحيفة المدينة المنورة
154	قائمة المراجع